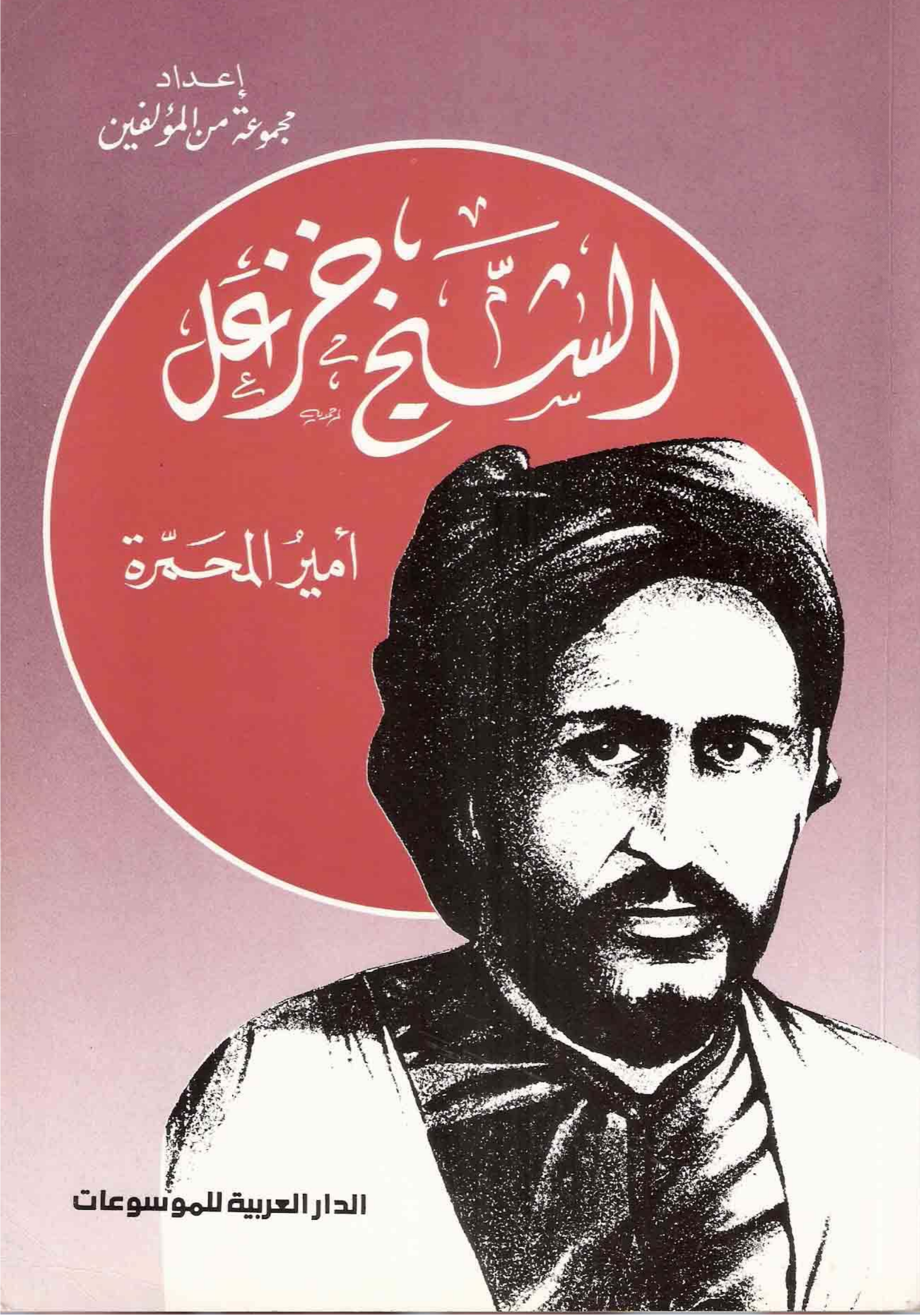
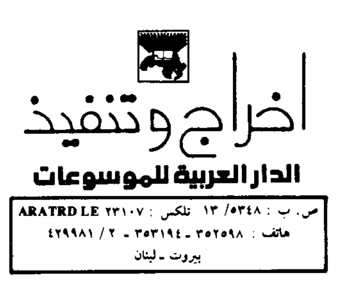

إعداد
مجموعة من المؤلفين
الشيخ خزعل
أمير المحمرة
الدار العربية للموسوعات


اخراج وتنفيذ
الدار العربية للموسوعات
ص. ب : ٥٣٤٨/ ١٣ تلكس : ٢٣١٠٧ ARATRD LE
هاتف : ٣٥٢٥٩٨ - ٣٥٣١٩٤ - ٢ / ٤٢٩٩٨١
بيروت - لبنان



إعداد
مجموعة من المؤلّفين

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الثانية
١٩٨٩

مقدمة

يعتبر الشيخ خزعل أمير المحمرة من الشخصيات الجديرة بالبحث والدراسة، لما له من أهمية كبيرة في إلقاء الضوء على حقبة بارزة من تاريخنا الحديث. فالشيخ خزعل أمير عربي مرموق اجتذب الأنظار إليه بمزاياه السياسية وحزمه .

وقد ساعدت الأحداث الدولية آنذاك على بلورة شخصيته ومكانته ، منها ازدياد حدة التنافس الروسي ـ الإنكليزي ، والصراع بينهما من جهة وبين إلمانيا من جهة أخرى . واكتشاف النفط في الأحواز عام ١٩١٨ الذي زاد من رغبة الدول الإستعمارية للسيطرة عليها ، ونشوب الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية واستلام رضاخان زمام السلطة في إيران ، وبداية الحكم الوطني في العراق ، كل هذه الأحداث كان لها أثر في حكمه ، وله مواقفه منها .

ونظراً للدور التاريخي الذي لعبه الشيخ خزعل في التكوين السياسي لمنطقة الخليج العربي رأت الدار العربية للموسوعات ، من موقع التزامها بإحياء أصائل التراث العربي وأعلامه الرائدة ، أن تسهب في دراسة هذا الأمير العربي من مختلف النواحي سواء الإنسانية أو الإجتماعية أو الفكرية باعتباره مجسداً ورائداً لليقظة القومية والنهضة العربية. فكان هذا المؤلف بمثابة سيرة ذاتية للشيخ خزعل ودوره الطليعي في تاريخ المنطقة كما أنه في الوقت ذاته عرض للتاريخ السياسي لمنطقة الخليج العربي في مرحلة تدافعت فيها أطماع إيران وتركيا وبريطانيا وروسيا وألمانيا وفرنسا .

يتألف هذا الكتاب من خمسة فصول تناول الفصل الأول إمارة الشيخ خزعل وأسرته ثم نشأته وأثره في علاقته العائلية قبل تسنمه الإمارة ومختلف جوانب شخصيته ، ثم الشيخ خزعل في السلطة وجهوده في إرساء دعائم الأمن وتحقيق الإستقلال ، ونهجه في سياسة الإمارة ، والعلائق التي وثقها مع العشائر العربية وسواها في محيط الإمارة ، ثم سبل النهضة الإقتصادية والثقافة التي اتبعها .

وفي الفصل الثاني عرض الأساليب الشيخ خزعل في مجابهة الأطماع البريطانية في الأحواز ، ومراحل علاقته ببريطانيا أثناء توليه السلطة ، والمفاوضات التي دارت بينه وبين بريطانيا منذ اكتشاف النفط في إمارته وما حققته من إمتيازات ، ثم تأييده لها حين أعلنت الحرب العالمية على الدولة العثمانية ، وانقلابها عليه بعد فوزها في تلك الحرب ، وانحيازها إلى جانب رضاخان في نزاعه مع الشيخ خزعل .

وتناول الفصل الثالث موقف الشيخ خزعل من التطورات السياسية في العراق وعلاقته بالدولة العثمانية التي كانت تحكم العراق ، ثم علاقته بالسيد طالب النقيب وبالحركة العربية والنهضة القومية في العراق ، وموقفه من ثورة العشرين وترشيحه لتولي عرش العراق ،وعلاقته بالحكومة العراقية بعد تنصيب الملك فيصل الأول ثم علاقاته بالأمراء والشيوخ العرب في منطقة الخليج العربي آنذاك .

وفي الفصل الرابع شرح لموقفه من الأطماع الإيرانية في الأحواز وعلاقته بالأسرة القاجارية الحاكمة في إيران منذ توليه السلطة حتى استلام رضاخان زمام الحكم في إيران ، ونشوب النزاع بينهما والذي انتهى باحتلال إيران لإمارة الشيخ خزعل ، ثم موقف بريطانيا من الإحتلال الإيراني للأحواز وعرض لممارسات المحتلين الإيرانيين فيه بعد اختطاف الشيخ خزعل وأسره .

ويتضمن الفصل الخامس شريطاً من الوثائق التاريخية بشكل رسائل متبادلة بين الشيخ خزعل وعدد من الشخصيات السياسية والعسكرية من عربية وأجنبية كان لها أثرها في منطقة الخليج العربي ، بينها أمراء وشيوخ وزعماء عشائر ومسؤولون عثمانيون وإيرانيون وبريطانيون وغيرهم .

الفصل الأول

إمارة الشيخ خزعل

أسرة الشيخ خزعل

ينتمي الشيخ خزعل بن الشيخ جابر بن مرداو إلى قبيلة البوكاسب من عشيرة المحيسن إحدى عشائر كعب العربية ، ويرجع أصلها إلى القبائل العدنانية القديمة . وقد نزحت من نجد إلى العراق واستوطنت ضفاف شط العرب ، ونخص بالذكر المحمرة وهي مدينة على يمين نهر كارون عند مصبه من الجانب الشرقي من شط العرب . وتبعد ٣٨ كم عن البصرة . وقد سميت بهذا الإسم نظراً لاحمرار تربتها . وشيدت سنة ١٨١٢ وصارت تنمو وتتسع إلى أن أصبحت ميناءً هاماً ومركزاً تجارياً نافس مدينة البصرة . وتحولت إلى إمارة مستقلة تحت زعامة الشيخ جابر بن مرداو .

نشأة الشيخ خزعل وحياته :

ولد الشيخ خزعل سنة ١٨٦١ في قرية كوت الزين التابعة لقضاء أبي الخصيب . وكان خامس أخوته . وقد اهتم والده به منذ طفولته اهتماماً كبيراً وهيأ له كل ظروف التعليم لا سيما الدين واللغات والفروسية . وامتاز بالذكاء والأخلاق الحميدة والكرم وهو عالم أديب وشاعر ثائر . تزوج من عدة نساء، بنات الأمراء ورؤساء العشائر بلغن العشرين وأنجب منهن ٢٧ ولداً وبنتاً .

دور الشيخ خزعل في عهد أخيه الشيخ مزعل :

برز دور الشيخ خزعل في الحياة السياسية منذ السنوات الأخيرة لحكم والده حيث أُنيطت به بعض المهام كما أصبح قائداً للجيش . وحين تسلم الشيخ

مزعل الإمارة بعد وفاة والده بقي الشيخ خزعل يتمتع بذات النفوذ واعتمد عليه أخوه اعتماداً كبيراً فقاد الحملات ضد بعض العشائر التي رفضت الولاء للحاكم الجديد .

غير أن التطورات السياسية التي شهدتها الأحواز فيما بعد نتيجة تزايد النفوذ البريطاني من جهة واحتلال إيران مدينتي تستر ودسبول من جهة أُخرى دفعت الشيخ خزعل إلى التحرك لتسلم السلطة والوقوف بوجه الأطماع الأجنبية ، لأن الجهود التي بذلها الشيخ مزعل لمنع التغلغل البريطاني لم تحل دون احتلال إيران لهاتين المدينتين . وكان أن اغتيل الشيخ مزعل بعد حكم ستة عشر عاماً وتسلم الشيخ خزعل السلطة من بعده .

تنصيب الشيخ خزعل :

على أثر مقتل الشيخ مزعل إجتمع بعض رؤساء عشيرة المحيسن وانتخبوا الشيخ خزعل لرئاسة العشيرة المذكورة . وقد شهدت المحمرة احتفالات كبيرة بالمناسبة ووفد إليها رؤساء العشائر لمبايعة الشيخ خزعل ، كما قدمت وفود من العراق لتهنئته .

منذ تسلم الشيخ خزعل زمام الحكم أخذت الإمارة تعيش عهداً جديداً يختلف عما سبقه . فقد ركز إهتمامه على تحسين السياسة الداخلية للإمارة وكان لحزمه وقوة شخصيته وسيطرته على الأمور أثر كبير في تحسن أحوال الإمارة وبدأ حكمه بطرد القوات الإيرانية بعد معارك عنيفة من مدينتي تستر ودسبول وعين عليهما حاكمين عربيين .

ولتوطيد سلطته في الإمارة ، وحد الشيخ خزعل جميع العشائر تحت لوائه وأصبحت منطقة نفوذه من شط العرب إلى مدينة دسبول وامتد سلطانه إلى العشائر الإيرانية ، وبعد أن أمن حدوده واستقلاله توجه نحو تعميد الإمارة وتطويرها .

لقد وُصِف بأنه أقوى شيخ عرف في جزيرة العرب . وارتبط بعلاقات وطيدة مع ملوك العرب وأوروبا. ووصل الأمر بأن المراكب الأجنبية كانت تطلق له مدافع التحية كلما مرت من شط العرب وحاذت قصره. وقد أنعم عليه البابا برتبة فارس لمساعدته ببناء كنيسة في المحمرة . كما تبرع بمبلغ من المال لمفتي القدس مساهمة منه في تعمير مسجد الصخرة .

إمارة الأحواز في عهد الشيخ خزعل :

تقسم إمارة الأحواز من الناحية الإدارية إلى قسمين : شمالي ، وقاعدته مدينة الأحواز ، وأهم مدنه الحويزة وتستر ورام هرمز . وجنوبي وأهم مدنه المحمرة ، قاعدة الإمارة في عهد الشيخ خزعل وعبادان التي اكتشف فيها النفط سنة ١٩٠٨ .

إمارة الأحواز منطقة زراعية هامة . فهي عبارة عن سهل مساحته ١٦٠٠ ميل مربع ، ذي تربة خصبة ومياه وفيرة . ويزرع فيها النخيل كما في البصرة . وفي عهد الشيخ خزعل أدخل إلى الإمارة زراعة القطن وجاء من أجل ذلك بالفلاحين المصريين . وزادت أهمية الإمارة التجارية بعد أن قرر الشيخ جابر سنة ١٨٣٢ جعل ميناء المحمرة مفتوحاً لجميع السفن وقد سار الشيخ خزعل على منوال أبيه فاهتم بالتجارة اهتماماً كبيراً ، إلى جانب اهتمامه بالأمن والإستقرار . وأخذ يرسل مبعوثين إلى الهند ومصر وأوروبا لدرس الأحوال التجارية فيها كما بنى في المحمرة وعبادان مراسي حديثة لاستقبال شتى السفن .

أما تجارة الإمارة فكانت تتم مع بغداد والبصرة والعمارة لأن الحدود مفتوحة معها ، كما كان للإمارة علاقات تجارية مع الكويت .

كذلك كان للإمارة علاقات تجارية مع أوروبا وأمريكا وروسيا والهند .

الحالة الإجتماعية

تسكن الإمارة العشائر العربية التي نزحت من جزيرة العرب والعراق إلى الأحواز وقد لقيت من الشيخ خزعل الرعاية والعناية دون تفريق بين الأديان والمذاهب فشعاره كما قال : « الإتحاد لا التفرقه » ، مع اهتمامه بأمور الدين وتشييده المساجد والحسينيات .

أما الناحية الفكرية فقد أولاها الشيخ خزعل كبير اهتمامه نظراً لميله إلى الثقافة بوجه عام وللشعر بصورة خاصة حتى أن قصره كان يسمى بسوق عكاظ كما اهتم بالتعليم وإنشاء المدارس .

أوضاع الإمارة السياسية :

شرع الشيخ خزعل ، منذ تسلم السلطة بتنظيم شؤون الحكم ، وإلى جانب اهتمامه بالإستقرار والإستقلال ومقاومته الأطماع الإيرانية ، أصبح هو المسؤول عن أمن الإمارة وإدارة شؤونها الداخلية والخارجية وكان يلقب بإسم حاكم شط العرب .

كان يساعده في تسير أمور الإدارة مساعدون ونواب له ، وكان ولده الشيخ كاسب ولياً للعهد منذ سنة ١٩٠٤ ، ولكنه نحاه ورشح بدلاً منه أخاه الشيخ عبد الحميد الذي كان حاكماً لمدينة الأحواز . وتوزع عدد من أولاده على مقاطعات الإمارة منهم الشيخ عبد الله حاكم المحمرة وعبادان ، والشيخ عبد المجيد والشيخ عبد الكريم الذي كان مرافقه ثم قائداً لقواته .

وترتبط بنظام الحكم الأمور القضائية ، إذ تجري الأحكام في الإمارة حسب الشرع ووفقاً للعادات والتقاليد. والشيخ خزعل ينظر بنفسه في القضايا الكبرى ، يعاونه بعض رجال الدين الذين جاء بهم من العراق للنظر في إصدار الأحكام الخاصة بالمسائل التجارية والحقوقية والجزائية . كانت محاكم الشيخ خزعل قاسية وأحكامها رادعة ، مما ساعد على استتباب الأمن في الإمارة. أما القضايا المدنية الخاصة برجال القبائل فكانت تسوى بحلف اليمين الذي لا يستطيعون أن

يحلفوا به باطلاً لأنهم إن فعلوا خانوا قبيلتهم تبعاً للعادة القبلية .

ثم تأسست دار للشرطة وعهد الشيخ خزعل إلى ابنه الشيخ عبد الحميد ولي العهد بالقضايا التجارية والحقوقية وفق نظام جديد قائم على العدل .

وأما الحالة العسكرية في الإمارة فكان الجيش عمادها ورمز قوتها ولهذا السبب أولاه الشيخ خزعل إهتمامه الكبير مع أنه لم يكن معتبراً من القوات النظامية لعدم وجود نظم عسكرية في الإمارة باستثناء الحرس الخاص للإمارة الذي كان مسلحاً تسليحاً جيداً . ولم يشهد الجيش التدريب النظامي إلا خلال الصراع بين الشيخ خزعل ورضاخان سنة ١٩٢٤ .

سياسة الشيخ خزعل العشائرية :

أ ـ سياسته تجاه العشائر العربية :

دأب الشيخ خزعل منذ تسلمه السلطة على جمع العشائر تحت سلطته ، ووجه بعض الحملات العسكرية لمن يقف ضده من العشائر . ففي سنة ١٨٩٩ جهز حملة عسكرية ضد قبيلة الباوية وانتصر عليها مما عزز مكانته في الإمارة . وخلال السنة ذاتها كانت هناك مشكلة « كعب الفلاحية » سعى الشيخ خزعل لإنهاء حكمها بشرائه للمؤيدين والمجندين . وفي غضون ذلك نشب نزاع بين الشيخ جعفر والشيخ عبد الله وكلاهما من أسرة كعب البوناصر . وكان الشيخ جعفر مؤيداً من قبل الشيخ خزعل بينما كان الشيخ عبد الله مؤيداً من قبل الحاكم العام الإيراني . وقد أخضع الشيخ خزعل مدينة الفلاحية بالقوة وذلك بتجهيز حملة إليها بقيادة ولده الشيخ كاسب الذي إنتصر فأصبحت الفلاحية منذ ذلك الحين إحدى مدن إمارة المحمرة وعين الشيخ خزعل أحد أولاده عليها .

أما بنو طرف فقد ثاروا عليه سنة ١٩٠٢ وسبب ذلك تأخرهم في دفع الضرائب المستحقة عليهم ، وكانت الحكومة الإيرانية على وشك اللجوء إلى القوة عندما تدخل الشيخ خزعل ودفع مبلغاً كبيراً نيابة عنهم ، لكن بني طرف رفضوا

دفع الضرائب إليه باعتباره ليس رئيسهم فقام الشيخ خزعل بتأديبهم وخضعوا دون مقاومة .

وفي العام نفسه ثارت عليه قبيلة النصار فامتنعت عن دفع الضرائب له . غير أن الشيخ خزعل اكتفى بترحيلها فنزحت إلى الكويت بعد أن تشفع لها صديقه الشيخ مبارك الصباح .

وبين عامي ١٩٠٧ / ٨ ثار بنو طرف من جديد فتوجه الشيخ خزعل نهراً على ظهر قارب يساعده الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت ونجح في توجيه ضربة قويه لهم .

ورغم ذلك فإن الشيوخ العرب ساندوا الشيخ خزعل ضد العشائر البختيارية خلال الأزمة بينهما حول مدينتي تستر ودسبول .

وإبّان الحرب العالمية الأولى قامت العشائر العربية بعمليات عسكرية ضد المنشآت الإنجليزية في الإمارة بينها مركز شركة النفط الأنكلو ـ فارسية وتمَّ قطع أنابيب النفط وتدميرها في عدة أماكن .

لقد أبدت العشائر العربية شجاعة فائقة في معاركها مع الإنكليز وخلدت بعد ذلك إلى الهدوء والسكينة تحت حكم الشيخ خزعل حتى عام ١٩٢٤ عندما برز الصراع بين رضاخان والشيخ خزعل لمحاولة الأول إحتلال إمارة الأحواز . فأعلنت العشائر وقوفها بوجه الأطماع الإيرانية . وعلى هذا الأساس جهز بعضا منها بالإسلحة والمعدات العسكرية .

ب ـ سياسته تجاه العشائر غير العربية :

كانت العشائر البختيارية من أهم العشائر غير العربية المجاورة لإمارة الأحواز ، وكانت ترئسها أسرة من الخانات .

ومنذ تسلم الشيخ خزعل الإمارة كانت العلاقات بينه وبين خانات البختيارية بين مد وجزر . وأدى اندلاع الثورة الدستورية في إيران إلى التجاء

خانات البختيارية إلى الشيخ خزعل نظراً لحاجتهم إلى أمواله ومساندته . فقام ثلاثة منهم بزيارة الشيخ خزعل وتباحثوا معه حول عقد حلف دفاعي ضد الحكومة الإيرانية ، وذلك لمنع أي تدخل منها في حقوقهم المتعلقة بالإقطاعات . وبالفعل اتفق على أن يديروا بصورة مشتركة حكم كل من بهبهان وكوهليوا ما عدا هنديجان وديه مولا ، حيث كانت حقوق الشيخ خزعل معترفاً بها في هذه المنطقة ، إلا أن هذا الإتفاق كان مؤقتاً . إذا أن الشيخ خزعل عمل في تلك الفترة على موازنة علاقاته بين الأطراف المتنازعة . فانتهى شهر العسل الذي كان قائماً بينهما وتعمقت الخلافات بينهما أكثر فأكثر بوقوع حوادث جديدة .

وخلال سنة ١٩١٠ ناصر الشيخ خزعل القاشقانية في التحرك ضد أصفهان قاعدة النفوذ البختياري بعد أن أخذ خانات البختيارية بالتدخل بشؤون الإمارة الداخلية، فجمع الشيخ خزعل قوة كبيرة من العشائر العربية تحت إمرة ابن أخيه الشيخ حنظل الذي التقى معهم بمعركة وهزمهم . إلا أن خانات البختيارية عدلوا عن موقفهم المعادي وآثروا التسوية السلمية مع الشيخ خزعل إلتماساً لصداقته .

وخلال الحرب العالمية الأولى حين كان معظم العشائر العربية مساندة لحركة الجهاد التي أعلنتها الدولة العثمانية ضد الإنجليز طلب الشيخ خزعل والسير برسي كوكس المساعدة من السردار جنك خان البختيارية إلا أنه رفض المساعدة إلا بشرط الدخول في علاقات مصاهرة متبادلة مع الشيخ خزعل لضمان التأييد المستمر ضد خانات البختيارية الآخرين . ولم ينل الشيخ خزعل المساعدة المطلوبة لأنه كان يسعى لمصاهرة السردار بهادر كي لا يجلب لنفسه عداوة العائلة البختيارية الرئيسية .

عندما جاء رضاخان إلى الحكم بدأ استفزازاته للشيخ خزعل فاتخذ خانات البختيارية مواقف مؤيدة للشيخ خزعل يدفعهم كرههم الشديد لرضاخان نظراً لمحاولاته القضاء على الإمارات المستقلة وضمها إلى سلطته .

وتجلت مساعدتهم للشيخ خزعل بالتصدي لقوات رضاخان حيث هاجمت منهم قواته وألحقت بها خسائر كبيرة . ولذا وثق الشيخ خزعل علاقاته معهم فتوسط لدى الإنكليز ببيعهم بعض الأسلحة كما قام بتزويج إحدى بناته من أمير مجاهدخان البختيارية . وهكذا فإن أمير مجاهد أخذ يحث قومه بحماس شديد لمساندة الشيخ خزعل والتقى معه في وضع الخطط لمساعدته . وبعث له بثلة من فرسانه ليوضعوا تحت إمرة الشيخ خزعل . ثم انضم لأمير مجاهد اثنان من رؤساء البختيارية فدربا الأفراد على حمل السلاح وجاؤوا بآلاف المقاتلين من أتباعهم . وانضموا جميعاً إلى « حلف السعادة » الذي ألفه الشيخ خزعل سنة ١٩٢٤ وأصبح أمير مجاهدخان نائباً للرئيس .

وبسبب موقفهم المؤيد للشيخ خزعل قام رضاخان ، خلال حملته ضد الأحواز بتغيير خطته ومسار جيشه تجنباً للإصطدام مع البختيارية ونشر الفرق بين رؤسائهم وجعلهم يتناحرون حول حكامهم كي يستطيع ضرب الشيخ خزعل دون مساعدة منهم ، مما أدى إلى فشل الشيخ خزعل في جر البختيارية إلى جانبه في مواجهة أطماع رضاخان .

الفصل الثاني

المصالح البريطانية في الأحواز

تمتد جذور الإهتمام البريطاني في الأحواز إلى سنين طويلة ، ترتبط بمحاولة البريطانيين الهيمنة على الخليج العربي حين تسللوا إليه عن طريق التجارة منذ القرن السابع عشر . وفي القرن الثامن عشر أخذ ذلك الإهتمام طابع القوة العسكرية لضرب القوى العربية الخليجية ، وتمثل بشكل خاص في استخدام شركة الهند الشرقية الإنكليزية لسفنها الحربية ضد إمارة كعب العربية التي أصبحت قوة يُعتدُّ بها في الخليج العربي آنذاك .

وازدادت أهمية الخليج العربي للمصالح البريطانية في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ وشروع نابليون بونابرت بوضع الخطط الحربية لمهاجمة الهند الدرة الثمينة في تاج الإمبراطورية البريطانية . فتنبه البريطانيون إلى الخطر المحدق بهم وبذلوا الجهود لمقاومة النفوذ الفرنسي في منطقة الخليج العربي . وظلت مخاوفها قائمة حتى بعد القضاء على النفوذ الفرنسي بعد اندحار نابليون . لذا قامت الحكومة البريطانية بتقوية صلاتها مع إمارات ومشيخات الخليج العربي . وعقدت معاهدات مع عدد من الشيوخ العرب . وما أن حل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلا وكانت بريطانيا تهيمن على الخليج العربي .

غير أن منافسة جديدة سرعان ما ظهرت للبريطانيين تمثلت بالروس الذين كانوا يحلمون بتنفيذ وصية القيصر بطرس الأكبر التي تقول :

« إذا ما سرى الإنحلال في « فارس » توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج ، فتعيدوا الحياة إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى إن استطعمتم ثم واصلوا السير إلى الهند محط كنوز العالم » .

وبظهور المنافسة الروسية أحدثت بريطانيا تغييرات في سياستها الإستعمارية واتجهت إتجاهاً جديداً باستبدال وكالاتها التجارية بوكالات سياسية تحولت فيما بعد إلى قنصليات وسفارات في العراق وإيران وغيرهما وانتقل مركز إدارة المفوضية البريطانية عام ١٨٢٠ إلى المحمرة ووضعت مشاريع كبرى لمد خطوط تجارية بحرية عبر الشرق الأوسط شملت شط العرب ونهر كارون وشجعها على ذلك فتح ميناء المحمرة لجميع السفن . فاتجهت إلى اعتبار الشيخ جابر شيخ كعب صاحب كيان مستقل تمشياً مع مصالحها .

وقد رحب الشيخ الكعبي بهذه المعاملة وأخذ يتقرب من بريطانيا، فحاولت الحصول على امتياز لإقامة مخازن للفحم في المحمرة إلا أن الشيخ جابر رفض ذلك فعمدت بريطانيا إلى إثارة الدولة العثمانية ضد الشيخ جابر باعتبار أن تابعية بني كعب تعود إلى الدولة الأخيرة .

وفي الوقت نفسه تصاعدت حدة التوتر بين الدولة العثمانية وإيران حول تابعية مدينة المحمرة والمناطق الحدودية الأخرى وباتت الأوضاع تهدد باندلاع حرب بين الدولتين فتوسطت بريطانيا وأرسلت مبعوثاً إلى الأحواز لتقصي الحقائق ، كما تدخلت روسيا القيصرية كي لا تدع لبريطانيا مجال التدخل وحدها في النزاع .

وبين عامي ١٨٤٣ و١٨٤٧ تكونت لجنة رباعية من الدولة العثمانية وإيران وبريطانيا وروسيا لتحديد الحدود أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الثانية وفيها تجلت المؤامرة الإستعمارية لضم المحمرة إلى إيران ، وبين ما نصت عليه المادة الثانية منها :

« تتنازل الحكومة الإيرانية عن كل ما لها من ادعاءات في مدينة السليمانية

ومنطقتها . وتعترف الحكومة العثمانية رسمياً بسيادة الحكومة الإيرانية التامة على مدينة المحمرة ومينائها . وفضلاً عن ذلك فللمراكب الإيرانية حق الملاحة في شط العرب بكل حرية من مصب شط العرب إلى نقطة إتصال حدود الفريقين » .

وخلال خمسينات القرن التاسع عشر احتلت بريطانيا المحمرة معلنة أن عملها هذا رد على مهاجمة القوات الإيرانية لبعض المؤسسات البريطانية في أفغانستان . لذا اتخذت بريطانيا من ذلك حجة للتدخل واشتعلت نار الحرب بين الدولتين . وقصفت المدافع البريطانية مدينة المحمرة سنة ١٨٥٧ وأدى ذلك لفرار القوات الإيرانية وسقوطها فيما بعد .

قوبل سقوط المحمرة بالإبتهاج في البصرة ذلك لأن الدولة العثمانية كانت قد ساعدت الإنجليز على أمل أن تضم المحمرة نهائياً إلى العراق ، ولكن الإنجليز قرروا الإنسحاب من المحمرة والمناطق الأخرى التي احتلوها ضمن معاهدة باريس المعقودة سنة ١٨٥٧ حيث ضمن الإنجليز كف يد إيران عن التدخل في شؤون أفغانستان .

لم يقتصر النفوذ البريطاني في المنطقة على مظاهر التدخل المسلح بل تعداه إلى التدخل الإقتصادي من خلال الإمتيازات التي حصل عليها الإنجليز . فقد منحت الحكومة الإيرانية البارون رويتر إمتيازاً لبناء الطرق ومد السكك الحديدية بين بحر قزوين والخليج العربي . وحق البحث عن الموارد المعدنية والتنقيب عن البترول وفتح القنوات . مقابل ذلك حصل الشاه ناصرالدين على الأموال اللازمة لسد نفقاته الشخصية .

ومع أن الحكومة الإيرانية اضطرت لإلغاء الإمتياز سنة١٨٨٩ بسبب الضغط الروسي إلا أن الشاه منح رويتر حق إقامة البنك الشاهنشاهي فأعطاه حق احتكار النقد وسيلة الدفع الملزمة في كل أراضي إيران . وتزايد الإهتمام البريطاني في إيران كما اعتبرت بريطانيا الأحواز إحدى مناطق نفوذها الرئيسية ، والتي يجب

أن لا تمتد لها يد أجنبية . وبدأت بالإهتمام بمشروع الملاحة بنهر كارون وسعت للحصول على الإمتياز . إلا أنها لم تستطع إلا سنة ١٨٨٨ . إذ إن الشيخ مزعل خلف والده الشيخ جابر في الحكم سنة ١٨٨١ ورفض الطلب البريطاني لفتح نهر كارون للملاحة النهرية ، إذ كان يرى في تطوير المنطقة إقتصادياً وربط المحمرة بتستر وطهران بسكك حديدية وطرق معبدة تهديداً لنفوذه. وأدى هذا الرفض إلى تردي علاقة الشيخ مزعل مع بريطانيا ، وساعد في توتر العلاقات بين الطرفين توطد العلاقة بين الشيخ مزعل والفرنسيين .

وزاد الأمر خطورة التقرب الروسي من الشيخ مزعل مما أثار بريطانيا، ذلك أن الإنجليز كانوا يخشون على مواقعهم في إيران رداً على محاولات الروس للوصول إلى الخليج العربي والمحيط الهندي لتهديد المستعمرات البريطانية في الهند .

ولكن بريطانيا فشلت في تحقيق مراميها نتيجة إصرار الشيخ مزعل فأدخلت بريطانية الحكومة الإيرانية طرفاً في النزاع علها تفلح في الضغط على الشيخ مزعل،فأهدت للشاه ناصرالدين سفينتين وأعطته وعداً بحماية أراضيه من هجوم العشائر التركمانية المؤيدة من قبل روسيا مقابل فتح نهر كارون للملاحة البريطانية . ولما سمع الشيخ مزعل هدد بإعلان الحرب على إيران إذا حاولت الأخيرة التدخل في شؤونه .

غير أن الشاه ناصرالدين قرر فتح القسم الذي يجري من نهر كارون في الأحواز للملاحة الدولية ولمسافة ١١٧ ميلاً وبدأت سفن شركة لنج تمخر النهر رغم تهديدات الشيخ مزعل .

وبعد أن حصل البريطانيون على الإمتياز استطاعوا التغلغل في الإمارة أكثر وتزايد نفوذهم بشكل لم يسبق له مثيل .

علاقة الشيخ خزعل ببريطانيا ١٨٩٧ ـ ١٩١٤ :

تعتبر علاقة بريطانيا بالشيخ خزعل صفحة من صفحات النفوذ البريطاني في المنطقة . فقد وجدت فيه بريطانيا حاكماً قوياً اتفقت مصالحه الإستقلالية مع مصالحها في منع امتداد النفوذ الروسي إلى رأس الخليج العربي . ولم تكن ترغب مع ذلك في الإضطلاع بنفسها بممارسة المهمة مباشرة كما في الهند ،لذلك وطدت علاقاتها مع الشيخ خزعل بغية جره إلى جانبها في أي نزاع إنجليزي روسي مرتقب يمتد إلى جنوب إيران .

أما الشيخ خزعل فكان يرغب في تثبيت إستقلاله الموروث ضد محاولات الهيمنة الإيرانية ، لذلك قرر مراعاة الظروف الدولية والاستعانة ببريطانيا لتأمين موقفه في مواجهة أطماع حكومة إيران .

بدأت العلاقات تتوطد بين الطرفين منذ عام ١٨٩٥ إذا أكد الشيخ خزعل للبريطانيين رغبته في مساعدة التجارة البريطانية إذا أصبح في موقف يمكنه من ذلك ، ويقصد على ما يبدو تسلمه لعرش الإمارة .

والظاهر أن الشيخ خزعل كان يتقرب من بريطانيا خدمة لأهدافه وطموحاته ليكون في منأى من سيطرة إيران والدولة العثمانية إعتماداً على صداقته لبريطانيا من جهة ، كما أراد إحباط أي تدخل بريطاني مرتقب ضده أو توجيه هذا التدخل لمصلحته من جهة أخرى .

وخلال عامي ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ بدأ الشيخ خزعل بالضغط على بريطانيا للتصريح بأنه يتمتع بتأييدها ،في وقت تقدم فيه الخطر الروسي والألماني في إيران. وذكر الشيخ خزعل للقنصل البريطاني في بغداد الذي زار المحمرة أنه يخشى أن يؤثر ذلك على إمارته خاصة وأن جميع الظواهر تؤكد إحتمال إنهيار الحكومة القاجارية بعد انتشار الفوضى في طهران ومعاناة الدولة من الإفلاس .

وأشار إلى أنه سيطلب الدعم من العشائر العربية في جنوب العراق إذا لم ينل المساعدة البريطانية ، خاصة وأن كل الدلائل كانت آنذاك تشير إلى أن الحكومة

الإيرانية تنوي أخذ جمارك المحمرة من يديه غير أن رد فعل الإنجليز في البداية كان سلبياً .

وفي عام ١٩٠٠ تأزمت الأمور بين الشاه القاجاري والشيخ خزعل بسبب رفض الأخير لشخصين بلجيكيين أرسلهما الشاه للإشراف على جمارك المحمرة إذ إن الشيخ خزعل رفض الفكرة نهائياً وخلال ذلك كانت بريطانيا تراقب الأوضاع عن كثب .

كان الصراع على الجمارك مايزال قائماً بينما شهد النفوذ الروسي تزايداً ملحوظاً . وحاول القنصل الروسي في أصفهان الضغط على الشيخ خزعل لفتح قنصلية لروسيا في المحمرة إلا أنه فشل بسبب التأييد الروسي للشاه والبلجيك في مسألة الجمارك . ورغم عدم موافقة الشيخ خزعل فقد أعطت الحكومة الإيرانية موافقتها لإنشاء الوكالة الروسية في المحمرة .

الضمانات البريطانية للشيخ خزعل :

بتعيين نائب قنصل روسي في المحمرة واجهت بريطانيا موقفاً جديداً يهدد مصالحها . وعليه بعث « هاردنغ » إلى اللورد لانسدون ، وزير خارجية بريطانيا آنذاك ، رسالة طلب فيها موافقة الحكومة البريطانية على منح الشيخ خزعل الضمانات التالية :

١ ـ ضمان وتأكيد مشابه لذلك الذي منح لشيخ الكويت .
٢ ـ ضمان وتأكيد مشابه للحماية ضد أية محاولة من إيران لتقليص نفوذ الشيخ خزعل .
٣ ـ ضمان وتأكيد مشابه للحماية ضد أي هجوم روسي .

وأخبره أن عدم إلتزام بريطانيا بإعطاء الشيخ خزعل أي تعهد للقيام بإجراء عسكري لصالحه سيؤدي إلى إرتماء الشيخ خزعل بأحضان الروس مما يلحق الضرر بالتجارة البريطانية . ورد عليه لانسدون بأنه سيعارض أية حيلة يتبعها الشاه للسيطرة على المحمرة والسماح للروس بذلك .

ولكن رغم تصريحه هذا ، غض لانسدون النظر عن مطالب الشيخ خزعل لعدم إقتناع بريطانيا باستيلاء الروس على المحمرة ، ولخوف لانسدون من إعطاء الضمانات ، ولم تقدم بريطانيا على لسان لانسدون إلى الشيخ خزعل أكثر من التعهد والرعاية .

أما الحكومة الإيرانية فقد حاولت امتصاص نقمة بريطانيا إزاء منحها الروس إقامة وكالة قنصلية في المحمرة . ولكي تقطع عليها الطريق لمساعدة الشيخ خزعل منحت الحكومة الإيرانية وليام دارسي امتيازاً للنفط سنة ١٩٠١ هو الأول من نوعه منحه إياه الشاه مظفرالدين ومدته ستون عاماً ، على أن تحصل الحكومة الإيرانية مقابل ذلك ٢٠٠٠٠٠ جنيه وما يوازي هذا المبلغ أسهماً و١٦٪ أرباحاً سنوية .

إلا أنه رغم منح بريطانيا هذا الإمتياز الضخم ، فإن مخاوفها تجاه احتمال ميل الشيخ خزعل إلى الجانب الروسي ، بعد تخليها عنه ، ظلت قائمة . لذا كان الموقف البريطاني بشأن مسألة الجمارك قابلاً للتغيير . وبعد صمت طويل كتبت مذكرتين إلى رئيس الوزراء مشير الدولة تستفسر منه فيهما عن صحة وضع الجمارك تحت إشراف وسيطرة أجنبية .

لقد عجل ذلك في الوصول إلى التسوية مرضية في سنة ١٩٠٢ إذ أصبحت جمارك الإمارة خاضعة للإدارة المباشرة ، ولكن بطريقة أصبح فيها الشيخ خزعل رئيساً للجمارك يساعده موظف بلجيكي تبعثه الحكومة الإيرانية . ونص الإتفاق بعدم تدخل المدير الجديد في شؤون الإمارة الداخلية غير المتعلقة بالجمارك ومعاملة الشيخ خزعل بإحترام وتنفيذ تعليماته . وبعد توقيع الإتفاق أرسل الشيخ خزعل نسخة منه للحكومة البريطانية بيد مبعوثه دون علم الحكومة الإيرانية بذلك .

ثم استؤنفت المفاوضات بين الشيخ خزعل وبريطانيا لعقد اتفاقية شبيهة بتلك المعقودة مع شيخ الكويت . وكانت الظروف آنذاك أكثر ملاءمة أولاً لتأكد

تعيين نائب قنصل روسي في المحمرة سنة ١٩٠٢ وثانياً السياسية الجديدة التي انتهجها اللورد كيرزون والقاضية بتشجيع هاردنغ في التعامل مع الشيخ خزعل إذا أكد له « إذا كان هناك زعيم تخوله مطاليبه مطالبتنا لتأييده فهو شيخ المحمرة ، وإذا كان هناك أي جزء في فارس تحتاج فيه بريطانيا لحماية مصالحها ضد التآمر والمنافسة الأجنبية فهو مصب نهر كارون . وإن السبب الرئيسي لضعفنا في فارس هو فشلنا في تأييد الزعماء والشيوخ الذين مالوا إلى جانبنا » . ويبدو أن السبب الذي دفع اللورد كيرزون لذلك هو اعتقاده أن البلجيك يمثلون واجهة المطامع الروسية . ولذا أصبح الشيخ خزعل منذ ذلك الحين ضمن دائرة التفاهم مع الحكومة البريطانية لأن في يده قوة عظمى يمارسها في الجبهتين التركية والإيرانية لشط العرب ويمتلك بموجبها السلطة الفعلية .

لذلك استؤنفت المفاوضات بين الشيخ خزعل والحكومة البريطانية سنة ١٩٠٢ واستهلت الحكومة البريطانية موقفها الجديد بإعطاء الشيخ خزعل بعض الضمانات المشروطة رافضة عقد معاهدة معه خشية ارتماء الحكومة الإيرانية في أحضان القياصرة الروس .

قدمت تلك الضمانات من قبل السير هاردنغ ، الوزير البريطاني المفوض في طهران ، وتضمنت حماية الإمارة ضد العدوان الخارجي ، وتأييد الشيخ خزعل طالما ظل محافظاً على علاقته مع الشاه القاجاري ويتصرف طبقاً لتعليمات الحكومة البريطانية .

ولكن على الرغم من أن بريطانيا بضمانتها هذه اعتمدت على نفوذ الشيخ خزعل لترسيخ مصالحها في الإمارة ، إلا أنها ظلت تخشى منافستها في هذه المنطقة الحيوية . لذا قامت بعدة خطوات لتأمين مصالحها . ففي سنة ١٩٠٣ حذر اللورد لانسدون من المخاطر الناجمة عن قيام دولة ما بتأسيس أية قاعدة بحرية أو أي مركز محصن في الخليج العربي . وفي نهاية سنة ١٩٠٣ زار اللورد كيرزون منطقة الخليج العربي وتفقد المؤسسات الهندية في المنطقة كما زار بعض الشيوخ العرب الذين تربطهم معاهدات مع الحكومة البريطانية ، وللإطمئنان إلى نفوذ

بـريطانيـا السياسي والتجـاري في مياه الخليـج العربي. وكـان المـأمـول أن يعقـد كيرزون لقاء مع الشيخ خـزعل في المحمـرة ولكن لم يتم لظروف غـير معروفـة، فأرسل الشيخ خزعل رسالة مجاملة إلى اللورد كـيرزون وغزالاً كهـدية لـه ، ورد كيرزون على الشيخ خزعل برسالة مماثلة . كما زار هاردنغ المحمرة مؤكِّداً للشيخ خزعل الضمانات المعطاة له .

في شباط سنة ١٩٠٤ رفعت بريطانيا درجة تمثيلهـا في المحمرة من وكـالة إلى تمثيل دبلوماسي أعلى حيث عينت ماكدوال قنصلاً فيها، كما أقامت وكـالـة قنصلية في الأحواز ووضعت فيها حامية من الجنود الهنود لحراستها .

وأجـرت بريـطانيا مشـاورات مع الشيـخ خزعـل بشأن قضيتـين ، أولاهمـا مشروع سكـة حديـد بغداد الـذي أعطي امتيـازه إلى ألمانيـا وعارضتـه بريـطانيا بشـدة ، حيث دارت بين الشيـخ خزعـل والسير بـرسي كوكس المقيم البريـطاني العـام في الخليج العـربي مفاوضـات بشأن امتيـاز النفط ولكن الاثنين تـطرقـا إلى موضوع السكة الذي عارضه الشيخ خزعل أيضاً وقلق بشأنه .

أما القضية الثانية فمشـاريع الارواء بـرؤوس أموال بـريطانيـة . وعند لقـاء كوكس بالشيخ خزعل وجده أكثر قلقاً وخـوفاً بسبب شكـوكه . وكـان يرغب في تأكيدات مستعجلة من بـريطانيـا لمساعـدته في الحصـول على امتيـاز الارواء وبناء السد عبر الكارون إلى الأحواز متعهـداً لها أنه لن يوظف سوى الخبراء الإنجليـز في المشروع .

قلق الحكومة الإيرانية إزاء الموقف البريطاني من الشيخ خزعل :

تطورت العلاقات بين الشيخ خزعل والحكومة البريطانية فاتهمت إيران سنة ١٩٠٧ بريطانيـا بتدبـير مؤامرة ضدها،وقـدم ممثل وزيـر الخارجيـة في الإمارة إلى القنصل البريطاني في المحمرة مذكرة من طهران حول تـورط بريـطانيا بهـذا الأمر وأن كوكس يدير تحالفاً مع الشيخ خزعـل والشيخ مبـارك الصباح شيـخ الكويت ضـد إيران ، إلا أن بـريطانيـا أنكرت ذلـك ، كما أن الشيـخ خزعـل طلب من

بريطانيا عدم الإقدام على أي عمل يعزز جانبه ضد البختيارية ـ وكانت بريطانيا قد أرسلت زورقها الحربي « كومت » ـ لأن ذلك يؤكد الشائعات التي تتناقلها الصحف الإيرانية حول قيامه بمؤامرة بمعونة بريطانيا إلا أن الشيخ خزعل انتهز هذه الفرصة لاستئناف مباحثاته مع كوكس حول زيادة الضمانات له .

في ٣١/ آب سنة ١٩٠٧ حدث تطور في العلاقات الروسية البريطانية تمثل في الإتفاق الروسي البريطاني رداً على ظهور المنافسة الألمانية ممثلة بمشروع سكة حديد بغداد . فقد قسمت إيران بموجب هذا الإتفاق إلى ثلاث مناطق :
المنطقة الشمالية كمنطقة للنفوذ الروسي ، والمنطقة الجنوبية كمنطقة للنفوذ البريطاني والمنطقة الوسطى التي اتفق على أن تكون منطقة محايدة . وأهم ما جاء في الإتفاق أن روسيا القيصرية اعترفت بالأفضلية البريطانية في جنوب إيران وإمارة الأحواز ، كما اعترفت بامتياز « دارسي » لعام ١٩٠١ وكانت بريطانيا هي المستفيدة من هذا الإتفاق أكثر من الحكومة الروسية التي كانت تعاني في تلك الفترة من عدة مشاكل منها فشلها في الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٢ ـ ١٩٠٤ والثورة ضد القيصر الروسي عام ١٩٠٥ .

أما الشيخ خزعل فبعد أن تم الإتفاق بين الدولتين حاول أن يفصم كافة إرتباطاته بالحكومة الإيرانية تعزيزاً لإستقلال إمارته . وكانت بريطانيا تراقب الأوضاع بحذر محاولة أن تتجنب حدوث أي إشتباك بين الشيخ خزعل والحكومة الإيرانية لما يترتب عليه من نتائج خطيرة تمس إتفاق سنة ١٩٠٧ ، فضلاً عن إثارة العشائر العربية في العراق وشبه الجزيرة العربية باعتبارها مرتبطة مع الشيخ خزعل بعلاقات قوية ، إذا لم يتأكد من مساعدة بريطانية له .

وقد اضطرت بريطانيا للتصريح للشيخ خزعل بأن المعاهدة لن تؤثر على وضعه المستقل ، كما أعطته تعهداً آخر بحماية إستقلال إمارته ضد أي إعتداء يحتمل وقوعه على إمارة الأحواز .

النتائج السياسية لاكتشاف النفط في الأحواز :

تعزز الموقف البريطاني تجاه الشيخ خزعل سنة ١٩٠٨ ، فبينما كان الشيخ خزعل يسعى للحصول على مزيدٍ من الضمانات من الإنجليز ، شهد ذلك العام حدثاً خطيراً تمثل باكتشاف النفط في مسجد سُليمان ، وسجل هذا الإكتشاف بداية عصر جديد في تاريخ الشرق الأوسط هو عصر النفط . وأدى ذلك لتعزيز السياسة الإنجليزية لحكومة الهند وتعزيز الهيمنة البريطانية على إمارة الأحواز ، فزادت من اهتمامها بالعشائر التي تقطن الإمارة ، وأخذت تدفع الأموال والقروض إلى الشيوخ الكبار ومنهم الشيخ خزعل حيث أخذت بريطانيا تدفع له حِصته من الأرباح مُقابل عملها في حقول النفط ، كذلك فعلت مع خانات البختيارية فاتفقت معهم على حِماية أنابيب النفط والعاملين فيها مُقابل ٢٠٠٠ باون سنوياً .

بعد اكتشاف النفط أرادت شركة الإمتيازات الحصول على أراضي عبادان لإنشاء معمل تكرير فيها وربط خط للأنابيب طوله ١٣٠ ميلاً بين الحقول ومرفأ النفط في عبادان . وحاولت هذه الشركة الإستحواذ على أراضي جزيرة عبادان سِراً ، إلا أن نائب القنصل في الأحواز رد بأن الشيخ خزعل لن يبيع شيئاً منها قبل معرفة الغاية من وراء ذلك . كما حذرهم كوكس « بأن خزعل مُتيقظ وذكي بما فيه الكفاية ليميز حجم النعامة مهما دفنت رأسها » . ونصحهم كوكس باتباع عنصر الصراحة في محادثاتهم مع الشيخ خزعل . وفِعلاً تخلوا عن فكرة الحصول على الأرض سِراً وبدأت مُفاوضات مباشرة بين الطرفين مثل أصحاب الإمتيازات فيها رئيس مهندسي تلك الشركة ومثل الشيخ خزعل رئيس التجار محمد البهبهاني .

خِلال تلك المُفاوضات طالب رئيس التجار بمبلغ ١٠٠٠٠ باون على أساس المُشاركة بالربح والخسارة . وتعهد رئيس المُهندسين بالموافقة باسم شركة النفط الأنجلو ـ فارسية . ثم بدأت المُفاوضات المُكثفة بين كوكس والشيخ خزعل سنة ١٩٠٩ . وشارك بالمُفاوضات السير أرنولد ولسن وجرى مسح النهاية الشمالية

لجزيرة عبادان حيث تقرر موقع مصافي التكرير ورسمت بعض الخرائط للمناطق المشمولة بالإمتياز .

أما ما دار في مُباحثات الشيخ خزعَل وكوكس ، فقد أكد الشيخ خزعل أن مبلغ ٦٠٠٠ باون غير كاف وطالب بمبلغ ١٠٠٠٠ باون ، ووافق كوكس باعتباره مبلغاً معقولاً ، فالبختيارية قبضوا مبالغ كبيرة مُقابل مرور الأنابيب بأراضيهم مسافة ٣٠ ميلاً بينما أراضي الشيخ خزعل تبلغ مائة ميل . ثم قدم الشيخ خزعل شروطه الباقية ومنها :

١ ـ أن تقع جميع المباني والمخازن والآلات المنصوبة داخل الأراضي المستأجرة وتُصبح مُلكاً للشيخ بعد انتهاء الإمتياز .

٢ ـ أن لا يتدخل موظفو الشركة في الأمور العشائرية وأن لا يستخدموا أفراد العشائر دون عِلمه .

٣ ـ أن تُصبح الكنوز والمُكتشفات للشيخ بِشكلٍ تام .

٤ ـ إذا جدد الإمتياز بعد انتهاء الفترة الأولى، على الشركة أن تستأجر بعدئذٍ الأراضي والمباني وغيرها من الشيخ ومن يعقبه بِشروط مُرضية .

كان الشرط الأول يُمثل عقبة كبيرة بالنسبة للحكومة البريطانية . فارتأت وزارة الخارجية بالتشاور مع شركة النفط أن تذكره بأن الملكيات تعود للحكومة الإيرانية ، أملاً في أن تضغط على الشيخ خزعل ليوافق على الشرط الرابع ، وإجباره على تمديد الإمتياز الأصلي لهم . لكن كوكس رفض هذا النهج باعتباره سيزعج الشيخ فرأى أن يُشاوره في الأمر . إلا أن المُفاوضات ازدادت تعقيداً بعد أن قدم الشيخ خزعل بعد أيام عرضاً جديداً لكوكس تمثل برغبته في الحصول على وعدٍ من الحكومة البريطانية يَقضي بِعدم تدخل الحكومة الإيرانية في إمارته ، وإطالة مُدة التعهد الذي منحه هاردنغ له سنة ١٩٠٣ إلى مائة أو مائة وخمسين عاماً لِيشمل خُلفاءه .

بيد أن كوكس أجابه بأن عليه (علـى الشيخ خـزعل) أن يُقـدم التماسـاً إلى الحكومة البريطانية للنظر في هذا الأمر، وهو من ناحيته لا يستطيع إعطاءه إي رد في هذه المسألة دون الرجوع إلى حكومته .

لِذا توقفت المُفاوضات النهائية . إلا أن كوكس استطاع بلباقته الـدبلوماسيـة أن يُقنع الشيخ خزعل بمُساعدته لأقصى حد في الإبقاء على حقوقه الموروثة وعـلى ممتلكاته وأن يمتد ذلك إلى ورثته وخلفائه .

نتيجةً لهذه التطمينات وافق الشيخ خزعل على تـأجير الأراضي للشركـة على أساس فهمه « أن مُلكيته ستعود إليه بعد انتهاء مدة الإمتياز » ، وذلك بعـد مدة قصـيرة من توقف المُفـاوضات . مُقـابل منحـه هـذا الإمتيـاز للشركـة ، قـدمت بريطانيا للشيخ خزعل أموالاً كواردات تبلغ ٦٥٠ باون تُدفع له مُقدماً لِكُـلِ أمد مدة عشر سنوات مُقابل مرور النفط عبر أراضيه ، كما قـدمت له الشركـة قرضـاً قدره ٦٠٠٠ باون بواسطة الحكومة الـبريطانيـة بِفائـدةٍ قدرهـا ٦٪ على شرط أن يؤجر الأرض للشركة لإقامة معمل تكرير النفط ودفع ٣٪ من دخل الشركة . كما ألـزم الشركة بـاستخدام العُمال العرب فقط إذ إن الشيـخ خزعـل رفض قـطعـاً استخدام الإيرانيـين . حتى انه أوصى في حـالة احتيـاج الشركة إلى عـمال فعليها استخدام عرب من البصرة .

يبدو أن تلك الإتفاقية عنت الكثير بالنسبة للشيخ خزعل ومسألة استقلاله ، فقد أكدت بصورة جازمة إعتراف الحكومة البريطانية بالسيـادة العربيـة في الإمارة وأعطت الشيخ خزعل نوعاً من الإطمئنان والأمان .

أما الحكومة الإيرانية فقد انـزعجت لِعدم معـرفتها بـالإتفاقيـة ، وادعت أن ذلك يُشكل مسـاساً بسيـادتها . غـير أن بريـطانيا لم تـأبه لاحتجـاجات حكـومة طهران ، فقد كانت ترى ضرورة عقد معاهدة كهذه لِضمان سير العمل في منطقة النفط وتأمينها .

على كلٍ ، فقد تطورت العلاقات بين الشيـخ خزعـل وبريـطانيا كـما بيّنا ،

ودفعت له الحكومة البريطانية قرضاً قدره ١٠٠٠٠ باون بواسطة الشركة .

وخِلال عام (١٩٠٩ ـ ١٩١٠) ناصرت بريطانيا الشيخ خزعل ضد الـوالي العثماني سُليمان نـظيف وشكرهـا على ذلـك بِرسـالـة إلى كـوكس يَقـول فيهـا : « . . . أشكـركم على المـظاهر الحسنـة والنصائـح الخيرة التي تفضلتم بها خِـلال السنوات الثلاث الماضية ، ومنها مثلاً وقوفكم ضد الخطة التهجمية لـوالي البصرة في كـوت الزين . . . . » ، كـما قدمت لـه وسامـاً مع رُتبـة فارس للقـائـد العـام لإمبراطورية الهند لجهوده في الحفاظ على التجارة البريطانية . كما أكـدت له عـلى لسـان كـوكس أن أي تغيـير في الحكـومـة الإيـرانيـة ، سـواء أكـانت ملكيـة أو دُستورية ، لن يؤثر عليه ، لأن الحكومة البريطانية ستُهيِّىء له السُبـل الكفيلة حتى بـالرد عـلى العدوان الخـارجي ، وأضاف كـوكس أنه من المُقـرر أن تشمل هـذه التطمينات ذريته من الذكور أيضاً .

في غُضون ذلك حصلت بريطانيا على موافقة الشيخ خزعـل لتصميم مِصفاة للنفط سعـة ١٢٠ ألف طُن ، كما وافق الشيـخ خزعـل عـلى عقـد إتفـاقيـة مـع الحكـومة الـبريطانيـة لِعدم استخـراج اللؤلؤ والإسفنج إلا بِـرخصة من الحكـومة البريطانية .

تطور العلاقات بين الشيخ خزعل وبريطانيـا إبان الحـرب العالمية الأولى وبعدها :

الإستعدادات البريطانية للحرب :

قُبيل الحرب العـالمية الأولى سـاد العلاقـات بين بـريطانيـا والشيوخ العـرب بعض الجفاء ، نظراً لِدُخول الحكومة البريطانيـة بمُفاوضـات مع الـدولة العثـمانية حول تقسيم مناطق النفوذ في الخليج العربي .

وقد أدى ذلك إلى ردود فعل سيئة لدى الشيخ خـزعل وزميله الشيـخ مُبارك الصباح شيخ الكويت ، وزاد الطين بلة إختلاف وجهات نظر كلٍ من حكـومتي الهند ولندن حول سياسة حِماية الشيوخ المحليين والمصالح البريطانية في المنـطقة .

وعلى كلٍ ، فقد نصت الإتفاقية البريطانية العثمانية سنة ١٩١٣ على أن يحتفظ الشيخ خزعل بِحُقوقه كالمُعتاد في الأراضي الواقعة ضمن الممتلكات العثمانية وأن تحفظ حقوقه في المُحمرة وتنظيم وراثة العرش في أُسرته .

ثم ازداد التقارب وتطور لصالح الشيوخ المحليين (ومنهم الشيخ خزعل) بعد أن تبين أن الإتفاقية البريطانية العثمانية لم تحل دون استمرار التقارب الألماني العثماني . فرغم إعلان الدولة العثمانية حيادها ، قامت بريطانيا بإجراءات واستعدادات للتحرك السريع وإحباط أي خطر عثماني نظراً لازدياد مخاوف بريطانيا تجاه العثمانيين منذ اندلاع الحرب نتيجة تسرب تقارير من بوشهر تُفيد بأن العثمانيين يُرتبون هجوماً على عبادان في الأُسبوع الثاني من آب مما دفع الإنجليز لتعزيز وجودهم العسكري في شط العرب ، وأُعطيت الأوامر للسفينتين الحربيتين داهوسي ولورنس بالتوجه إلى شط لعرب لمراقبة الوضع .

إزاء ذلك إعترضت الدولة العثمانية على وجود السفينتين بإعتباره عاملاً مُشجعاً للشيوخ العرب ، وتأكدت مخاوف العثمانيين عندما طلبت من الشيخ خزعل رسمياً الإحتجاج على تلك الخطوة فرفض . ونظراً لِما بين الشيخ خزعل والإنجليز من إتفاقيات وعهود فإن موقفه السلبي من الطلب العثماني يُعتبر أمراً طبيعياً . بيد أن مخاوف الإنجليز كانت شديدة بسبب إحتمالات انقلاب الشيوخ المحليين عند تأثرهم بِفكرة الجهاد التي لا بد أن يرفعها الأتراك لمواجهة الإنجليز .

ولِذا قامت بريطانيا بِخطوات أُخرى لِزيادة تعزيزاتها فأرسلت البارجة أودن لِمُراقبة حركات السفينة العثمانية مرمريس التي أرسلتها الدولة العثمانية لمراقبة السفينتين داهوسي ولورنس الراسيتين في شط العرب ، كما أرسلت المنور الحربي إسبيكل لحماية مؤسسات النفط في عبادان .

كذلك قامت بريطانيا بِجهود دبلوماسية مُكثفة لِضمان وقوف الشيوخ العرب إلى جانبها علناً فبدأوا يستعدون لمنح الشيخ خزعل والشيخ مُبارك الصباح

ضمانات إضافية لا سيما بعد موافقة مجلس الوزراء البريطاني سنة ١٩١٤ على مُقترحات حكومة الهند بإرسال قوة إلى رأس الخليج العربي . وكتب نوكس إلى نائب الملك في الهند هاردنغ يقول : « أعتقد أن شيخي المُحمرة والكويت سيكونان معنا كلية » .

خلال الأشهر التالية حدثت تطورات عدة ، فبعد أن ألقى أسبيكل مراسيه في شط العرب بدلاً من البارجة أودن ، إعترضت الدولة العثمانية على هذه التظاهرة البحرية البريطانية وسلم الإعتراض ضابط عثماني وقدم للبريطانيين إنذاراً يطلب فيه برحيل أودن ولورنس وداهدسي خلال ٢٤ ساعة ورحيل أسبيكل خلال ثمانية أيام .

إلا أن بريطانيا احتجت على الإنذار معتبرة أن قطعاتها الثلاث الأولى ترسو في مياه غير عثمانية ، أما أسبيكل فرفضت سحبه من شط العرب حسب أمر وزارة البحرية البريطانية مبررة ذلك إلى إتفاقية شط العرب لعام ١٩١٣ التي تنص على إبقاء شط العرب مفتوحاً لسفن الدول كلها .

لذا لم يبق أمام الدولة العثمانية سوى استمالة الشيخ خزعل لمساعدتها فقدم متسلم البصرة إقتراحاً بهذا الخصوص للشيخ خزعل يقضي بمساعدتهم عندما يهاجمون المنور أسبيكل من على سطح المنازل المشرفة على المنور وطلب منه الموافقة التي تثبت ولاءه للحكومة العثمانية . لكن الشيخ خزعل رفض الفكرة وعلق قائد المنور على ذلك بقوله : « إن رفض الشيخ خزعل قد انقذنا من مجزرة دامية » .

وخلال ذلك كان الشيخ خزعل قد حصل من بريطانيا على ٣٠٠٠ بندقية من نوع مارتيني ـ هنري ومليون طلقة ذخيرة حربية .

من جهة أخرى سيرّت بريطانيا حملتها المؤلفة من لواء المشاة السادس عشر من الفقرة السادسة التي أقلعت من بومباي إلى الخليج العربي . ووضعت إدارتها تحت إشراف حكومة الهند . وعين قائداً عليها أمير اللواء ديلامي وأعطيت تعليمات تسلمها ديلامي وهي عبارة عن وصايا وخرائط مفصلة لمساعدته أثناء الحركة . وتضمنت تلك الوصايا احتلال مدينة عباذان بغية :

١ ـ حماية مصافي النفط والخزانات وأنابيب النفط .
٢ ـ تأمين نزول نجدات عسكرية إذا اقتضى الأمر .
٣ ـ تطمين العرب في تلك المنطقة إلى أن الإنجليز سيهبون لمساعدتهم ضد الأتراك العثمانيين .

وقد وردت برقيه من وزارة الهند إلى ديلامي أشارت إليه بأن يؤكد للشيخ خزعل أن الغاية المتوخاة من الحركات هي فتح شط العرب للتجارة بين بلاده والخارج ، وأن الحرب هي على الترك لا العرب ثم قامت بريطانيا بترحيل رعاياها إلى البصرة والمحمرة قبل إعلانها الحرب .

موقف الشيخ خزعل من إعلان بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية :

أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩١٤ وكان أول من تلقى الخبر قائد المنور أسبيكل الذي أوعز إليه بأن يحمي المصالح البريطانية في عبادان أو المحمرة وأن يطمئن الشيخ خزعل بشأن الإجراءات التي اتخذت .

وفي الوقت نفسه كانت البارجة أودن تنتظر عند مصب نهر كارون لتستقبل حملة(د) وترافقها داخل شط العرب ، حيث وصلت الدفعة الأولى منها بقيادة ديلامي وقد تحركت نحو الفاو لإحتلالها حسب الأوامر المعطاة لها .

لقد نجح البريطانيون في إحتلال الفاو وبدأ إنزالهم في عبادان واستغرقت هذه العملية يومين . ومع ذلك لم يتحرك الأتراك العثمانيون بسبب قطع الإتصال البرقي بين القيادة العثمانية والجيش المتقدم حتى أن أخبار سقوط الفاو وصلت البصرة بواسطة الموظفين الهاربين . ثم قام العثمانيون بهجوم أسفر عن هزيمتهم وتكبدهم خسائر جسيمة .

بعد ثلاثة أيام من هذه المعركة وصل قائد الحملة العام الجنرال باريت من بومباي ومعه البقية الباقية من الحملة وأخذ موقع القيادة بدلا من ديلامي .

وقد استطاع باريت عند تسلمه القيادة أن يهزم العثمانيين في سبحان وفي كوت الزين ثم عسكر شمالاً مقابل المحمرة على الضفة اليمنى من شط العرب نظراً لقلق الشيخ خزعل من قيام العثمانيين بهجوم عليه، وبذا تأمنت الحماية للشيخ خزعل والمنشآت النفطية . وأصبح مصفى النفط في عبادان العائد لشركة النفط الأنكلو- فارسية في مأمن من الخطر . وغدت عبادان تقوم بدور المجهز للزيت الخام والنفط لكافة المصالح البريطانية وفي حقول النفط البعيدة .

ونتيجة لموقف الشيخ خزعل من القوات البريطانية بعدم التدخل لصالح العثمانيين ، قدمت له الحكومة البريطانية الضمانات والتعهدات على لسان المقيم البريطاني العام في الخليج العربي نوكس بأنه في حال قيام الشيخ خزعل بمساعدة الإنجليز في احتلال البصرة وحماية حقوق البريطانيين فستتدخل بريطانيا لصالحه في حالة اعتداء إيران عليه وتتعهد بحمايته من العدوان الخارجي هو وذريته من بعده .

في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ إحتل البريطانيون البصرة وشغلوا بعض الدور العائدة للشيخ خزعل على أن تعاد إليه بعد حين . ويقول وليام ستيرنغ : « إن الشيخ خزعل ظل في موقفه الحذر من ثورة العشائر وفتاوي الجهاد ضد الإنكليز » .

أما بريطانيا فكان رد فعلها إزاء تلك الثورات أن قامت بإجلاء رعاياها من الإمارة وأرسلت السفينة الحربية كومت ونصف كتيبة مشاة من اللواء ١٢ بقيادة اللواء روبنسون لمواجهة تلك الثورات .

وفي إطار المناورة البريطانية إقترح كوكس السياسي الضليع في شؤون الخليج العربي أواخر سنة ١٩١٥ أن يستقل الشيخ خزعل عن الدولة الإيرانية وأن يرفع العلم الأحمر إعلاناً لذلك الإستقلال . وإن يقدم ١٠٠٠٠ باوند قرضاً للشيخ خزعل . وقد وافق وزير الخارجية كري على هذه المقترحات بشرط أن لا تعلن المفاوضات بين الطرفين .

كانت بريطانيا ترغب في إبرام معاهدات خطية بينها وبين الشيوخ المحليين ولذا دعت كلا من الأمير عبد العزيز بن سعود أمير نجد وشيخ الكويت الجديد الشيخ جابر المبارك والشيخ خزعل أمير المحمرة وعدداً آخر من رؤساء العشائر العربية المهمة في الأحساء وجنوب العراق للإجتماع في الكويت ، وتم ذلك في تشرين الثاني سنة ١٩١٦ ، في هذا الإجتماع حاول كوكس محْو ما قد يعلق بأذهانهم من سوء نوايا بريطانيا السياسية . أما الزعماء الثلاثة ـ ابن سعود وخزعل وجابر ففي الوقت الذي أظهروا حرصهم على العلاقة مع بريطانيا أكدوا على تأييدهم لثورة الشريف حسين التي أعلنها في الحجاز .

وبعد انتهاء المؤتمر دعا كوكس الزعماء الثلاثة لزيارة البصرة ويقصد من وراء ذلك ، أولاً : التأثير المعنوي على نفسية ضيوفه بإطلاعهم على الأعمال الجارية ، لتحويل البصرة إلى ميناء وقاعدة عسكرية كبيرة ، وثانياً : التأثير في نفسية سكان البصرة وجعلهم يسلمون بسلطة الإحتلال في إشعارهم بمتانة الروابط التي تجمع السلطة البريطانية بشيخ وأمراء العرب في المنطقة .

السياسة البريطانية تجاه الشيخ خزعل بعد الحرب العالمية الأولى :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تكشفت سياسة المناورة والخداع التي مارستها بريطانيا حيث رسّخت احتلالها للمنطقة ولم تعد تتعامل مع الشيوخ العرب كما كانت تفعل أثناء الحرب . وهذا ما أدركه الشيخ خزعل الذي لم يعد ينظر إلى بريطانيا كدولة صديقة ، وأبدى رغبته بترشيح نفسه لعرش العراق عام ١٩٢١ ، وكان طموحه هذا يشكل خطراً لبريطانيا ولا سيما وأنه كان يسعى لإقامة تعاون وتحالف بين إمارته والعراق .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بريطانيا قوي مركزها في إيران بعد عقدها اتفاقاً عام ١٩١٩ مع الحكومة القاجارية ، والذي نص على استخدام الحكومة الايرانية للخبراء البريطانيين في كافة الدوائر الحكومية واستئثار بريطانيا بحقول

النفط الغنية . يُضاف الى ذلك ظهور رضاخان على مسرح الأحداث في أوائل العشرينات حيث تغيرت منذ تلك الفترة موازين الأُمور فاتخذت بريطانيا من الشيخ خزعل موقفاً جديداً قوامه المصلحة البريطانية التي لا تُعير أهمية للعهود والمواثيق التي تمنحها للبعض في ظروف خاصة .

الفصل الثالث

الشيخ خزعل والتطورات السياسية في العراق

علاقة الشيخ خزعل بالدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها :

إتسمت علاقة الشيخ خزعل بالدولة العثمانية في بداية حكمه بالاحترام المتبادل ، فكانت له صِلات مع السلطات العثمانية في ولاية البصرة .

وعندما قامت الثورة التركية عام ١٩٠٨ رحب الشيخ خزعل بما حصل من تطورات سياسية في الدولة العثمانية ، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الزعماء العرب ، وأعلن انتماءه لجمعية الإتحاد والترقي التي ثارت على السلطان . كما وقف ضد والي البصرة آنذاك عبد الرحمن حسن بك الذي أعلن تمرده على الحركة الدستورية ، مما دفع بالوالي إلى الفرار . واحتفل في البصرة بإعلان الدستور برعاية الشيخ خزعل نفسه والوجهاء العرب في المدينة .

بيد أن العلاقات الودية بين الشيخ خزعل وقادة الإتحاد والترقي لم تستمر طويلاً ، بسبب تبني هؤلاء فكرة الحركة الطورانية التي تدعو الى تفوق الجنس التركي على باقي الأجناس التي تضمها الدولة العثمانية . فضلاً عن تأكيد الشيخ خزعل لاستقلاله بينما أخذت جمعية الاتحاد والترقي تتبنى إسلوب القوة لإرغام الشيوخ على ولائهم لها ، لا سيما الذين تقع إمارتهم على رأس الخليج العربي . لهذا توترت العلاقات بينهما ، وعين بعض الولاة الأشِداء في البصرة لتحقيق هذا الهدف .

لمواجهة هذا الموقف عقد الشيخ خزعل وحليفه الشيخ مبارك الصباح والسيد طالب النقيب مؤتمراً في داره تقرر فيه الوقوف بوجه الأتراك بسبب سياستهم العِدائية تجاههم ، وجمع كلمتهم للمطالبة بحقوقهم القومية .

قامت الدولة العثمانية من جهتها بتعيين سليمان نظيف والياً على البصرة خشية قيام تحالف عربي يسعى للقضاء على ما لها من نفوذ في الخليج العربي . و تميز هذا الوالي بِمعاداته لفكرة القومية العربية إذ أخذ يُصرح منذ الأيام الأولى لحكمه بنواياه ضد الزعماء العرب . إلا أن الشيخ خزعل حاول استمالته فدعاه إلى داره فلبى الدعوة وأخذ يتردد عليه باستمرار .

الا ان هذه العلاقة الوطيدة بين والي البصرة والشيخ خزعل لم تدّم طويلاً إذ أدت بعض الحوادث المحلية إلى تعكيرها وتوتيرها حيث رفض الشيخ خزعل تسليم وكيليه في البصرة إلى السلطات العثمانية التي اتهمتهما بإثارة القلاقل في أراضيها . وكتب سُليمان نظيف الى استنبول يُخبرها بموقف الشيخ خزعل ويقترح تأديبه . وقد صدرت الأوامر فعلاً الى الباخرة الحربية مرمريس بِضرب قرية كوت الزين بالمدفعية . وأرسل سليمان نظيف كِتاباً إلى الشيخ خزعل يُهدده فيه بضرب المحمرة إن لم يُبادر لإجابة مطاليبه .

ومهما يكن فإن الأوامر صدرت من العاصمة العثمانية بِعزل والي البصرة خَشية تطور الأحداث لاسيما وأن بريطانيا تدخلت في الأمر للحفاظ على مصالحها في المنطقة .

بيد أن العلاقات لم تتحسن في ظل حكم الولاة الذين تعاقبوا على البصرة بعد سليمان نظيف . وأخذت الصحافة الإتحادية تهاجم الشيخ خزعل الذي انضم إلى فرع حزب الحرية والائتلاف المناوىء للإتحاديين والذي تأسس برئاسة السيد طالب النقيب .

كان وصول حزب الحرية والائتلاف إلى السلطة سنة ١٩١٢ بداية عهد جديد في العلاقات مع الشيخ خزعل حيث قام وفدٌ يتألف من نائب ولاية

البصرة ووكيلها وقائد البحرية يرافقهم السيد طالب النقيب بزيارته بُغية توطيد العلائق بين الطرفين .

وبينما رحب الشيخ خزعل بهذا التقارب تمكن الاتحاديين بعد فترة قصيرة من العودة إلى الحكم سنة ١٩١٣ وتردت العلاقات العربية ـ التركية بصورة عامة وأنذرت بانفجار شديد ، لِذا قرر الرؤساء العرب في منطقة الخليج العربي تنسيق سياساتهم وتوحيدها ، وتبنت هذا الموقف الجمعية الإصلاحية في البصرة التي دعت إلى عقد اجتماع في المحمرة، فعُقد في ١١ آذار ١٩١٣ مؤتمر عُرف بمؤتمر المحمره حضره كل من الشيخ خزعل والشيخ مبارك والسيد طالب النقيب بالإضافة إلى مندوب السلطات العثمانية .

وفي المؤتمر حاول المندوب التركي الحيلولة دون اتخاذ موقف معادٍ للدولة العثمانية ، غير أنه فشل في ذلك وقرر المؤتمرون الإتفاق على التحالف فيما بينهم وتنسيق سياستهم .

بعد انفضاض المؤتمر وفشل الدولة العثمانية في استمالة هؤلاء الشيوخ ، اخذت تُحاربهم فوجهت إليهم الإنتقادات في صحفها واتهمتهم بالتآمر على سلامة الدولة والإتفاق مع الإنجليز ضدها . ويُشير البعض إلى أن الإتحاديين كانوا يَخشون مُبايعة المؤتمرين لأحد ذُرية العباسيين بالخلافة .

وهكذا اشتد التوتر بين الرؤساء العرب من جهة والسلطات العثمانية من جهة أُخرى ، خاصة بعد مقتل فريد بك قائد الجيش النظامي بالبصرة وبديع نوري الحصري متصرف المنتفك إذ انتشرت الشائعات بعد الحادث حول نِية الحكومة بِقصف البصرة . ومع أن شيئاً من ذلك لم يحصل ، إلا أن السلطات العثمانية كانت تتحين الفرص للإنتقام من الشيخ خزعل والشيخ مبارك والسيد طالب لاتهامهم بالمشاركة في الحادث . لِذا عينت سُليمان الكمالي والياً على البصرة وزودته بِفوج من الضباط والجنود الأتراك لِمضايقة الأقطاب الثلاثة ، كما زُود بصلاحيات واسعة للتصرف .

وقد توجه الوالي الجديد نحو البصرة بحراً ، بعد أن استأجـرت له الحكـومة العثمانية باخرة من إحدى الشركات الروسية . وعند وصوله إلى شط العرب كان في استقباله الشيخ خزعل والشيخ مُبارك والسيد طالب النقيب وعددٌ من وجهـاء البصرة . وجرى الإحتفاء بالوالي الجديد في قصر الشيخ خزعل وأظهر لـه الشيخ خزعل من الكرم واللهو ما أنسى الوالي المهمة التي جاء من أجلها . وأصبح منـذ اليوم التالي لمجيئه رهن إشارة الشيخ خزعـل وحُلفائـه ، بعد ان إقتنـع بوجـوب مُسايرة ومصادقة الأُمراء دون أن يقوم بما لا تُحمد عُقباه .

في هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية قد خرجت منهوكـة القوى من الحـربين الطرابلسية والبلقانية ، وكان همها إيجـاد تسويـات مع الـدول الأوروبية في المنـطقة العربية ، وكان الإتحاديون من مؤيدي هذه السياسـة التي تَزعمهـا وزير الخـارجية العثماني حقي باشا إذ كانت رغبتهم إجراء هذه التسْويات خاصةً مع بريطانيا لِذا بدأت سلسلة من المفاوضات بين الطرفين أسفرت عن توقيع إتفاقيـة شط العرب سنة ١٩١٣ التي تضمنت إعتراف الدولة العثمانية بتنظيم الوراثة في إمارة المحمرة مع التسليم باستقلالها الذاتي وممارسة الشيخ خزعل لِكـافة حُقـوقه ، وقـد أثْرت هذه الموافقة في نفس الشيخ خزعل فتـبرع بإعـانة منـه للإسـطول العثماني الـذي أصابه الحريق وفي المقابل أهدى السلطان محمد رشاد إلى الشيخ خزعـل الوسـام العالي العثماني مع الرتبة الأُولى وقُلد الوسام للشيخ خـزعل في حفـل كبير حضره مأمور خاص من كبار وزراء الدولة العثمانية .

غير ان طابع الود الـذي كان سـائداً بـين الشيخ خـزعل والـدولة العثـمانية سرعـان ما خبـا بريقـه واتجهت العلاقـات بينهما نحـو السلبية بشكـل عَلني عِنـد اندلاع نِيران الحرب العالمية الأُولى .

الاستعدادت العثمانية للحرب :

مـع أن الحرب العـالمية الأُولى أُعلنت في آب سنـة ١٩١٤ ، إلا أن الدولـة العثمانية لم تستعِد الاستعدادات الكافية للمـواجهة في كِلتـا الناحيتـين العسكريـة

والسياسية نظراً لاعتقاد القيادة العثمانية أن بريطانيا لن تُهاجم جبهة العراق والمناطق المحيطة به بسبب حاجتها للجيوش الهندية لِدعم الوضع العسكري في أوروبا ومصر والهند .

وهكذا وقعت القيادة العثمانية تحت تأثير تصورات خاطئة فهي من الناحية العسكرية لم تستغل الفترة بين آب وتشرين ثاني لحشد قواتها ولم تبق في البحر سوى الباخرة الحربية مرمريس راسيةً في شط العرب ، فضلاً عن أنها سدت مجرى شط العرب بإغراق بعض السفن فيه ، ونصب أربعة مدافع على الضفة اليُسرى من شط العرب .

أما من ناحية البر ، فقد جردت القيادة العثمانية العراق من القوات النظامية ولم تبقَ فيه سوى الفرقة ٣٨ بناءً على إلحاح جاويد باشا وكان قد تقرر نقلها إلى جبهة القفقاس ، إذ ان القيادة العثمانية اعتبرت العراق من المناطق الثانوية التي يُلقى واجب الدفاع عنها على عاتق المتطوعين والعشائر ووحدات الدرك والحدود .

أما من الناحية السياسية فلم يُحاول العثمانيون جذب الزعماء العرب إليهم بأي شكلٍ كان ، ما عدا إرسال قائد العراق جاويد باشا إلى الشيخ خزعل كتاباً بيد مُعتمده وطلب منه فيها الوقوف معهم حفاظاً على وحدة الصف الإسلامي . غير أن الشيخ خزعل لم يرُد على الطلب . والواقع أن العثمانيين كانت تساورهم بعض الشكوك تجاهه .

أصبح هذا الارتياب حقيقة واقعة . ولذا أخذت العلاقات بين الشيخ خزعل والدولة العثمانية تتأزم وتتجه نحو العِداء المُعلن بينهما لا سيما أن الشيخ خزعل تسلم أسلحة بريطانية مما جعل الدولة العثمانية تعتقد أن ذلك يستهدف إضعافها .

موقف الشيخ خزعل من إعلان الدولة العثمانية الحرب على بريطانيا :

أعلنت الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء يوم ٥ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ منحازةً لجانب ألمانيا ودُول المحور الأُخرى ، لِلدفاع عن كيانها المُهدد بعد إعلان بريطانيا الحرب عليها في ٣١ تشرين الأول ١٩١٤ .

ومُنذ بدء الإشتباك بين بريطانيا والدولة العثمانية أثبتت الأخيرة عجزها نتيجة سوء التخطيط ، فلم تُقاوم احتلال الإنجليز للفاو ، ثم الفشل الذي مُنيت به خلال عمليات الهجوم التي قررتها بين احتلال الفاو واحتلال البصرة ١٠ ـ ٢٢ تشرين الثاني في كلٍ من السنية وسيحان وكوت الزين والبلجانية حيث لعِب الشيخ خزعل دوراً كبيراً في الفشل المتوالي للعثمانيين .

إزاء هذه النكسات المتكررة التي كان آخرها احتلال البريطانيين البصرة ، في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ أخذ العثمانيون يُفكرون بِخطط تُنجدهم بعد انسحابهم إلى العمارة . وكانت خطتهم تستهدف التقدم نحو الأحواز ومُهاجمتها .

أما دوافعهم لذلك فعديدة منها احتلال مواقع النفط أو ضربها لعرقلة الجهود البريطانية ، خاصة وأن النفط يُشكل العماد الرئيسي نظراً لاعتماد الأُسطول البريطاني على مصادره ، ورغبة العثمانيين في إشغال القوات البريطانية لتخفيف الضغط على جبهة العمارة المُشتعلة . لِذا أرادوا فتح جبهة الأحواز لتكون جبهة استنزاف ومُشاغلة ، كما حاولوا بذلك إضعاف مركز الشيخ خزعل معتمدين على دعوة الجهاد في تحريض العشائر العربية عليه .

بيد أن الاستعدادات العثمانية جاءت متأخرة في تنفيذ الخطة ، كما أن الإنجليز علموا بها فاستعدوا لمواجهتها . ومهما يكن فإن القوات العثمانية عبرت جدول المشرح ووصلت منطقة البسيتين مستهدفةً الإغارة على حقول النفط واشتبك الطرفان . وقد تمكنت القوات البريطانية من مباغتة العثمانيين في مكان يُسمى « الغدير » ،وجرى قتال عنيف انتهى بتراجع القوات البريطانية بعد أن

تكبد الطرفان خسائر فادحة . لكن العثمانيين لم يستغلوا هذا الموقف فأوقفوا تقدمهم مما أعطى البريطانيين فرصةً لتعزيز قواتهم المنهارة .

في ظل هذه التطورات العسكرية واجه الشيخ خزعل تحركات بعض العشائر في الأحواز ممن أرادوا الوقوف إلى جانب العثمانيين في محاربة الإنجليز ، بيد أن الشيخ خزعل تمكن من إقرار الأمن والنظام وحال دون تصاعد تلك التحركات .

الشيخ خزعل والسيد طالب النقيب:

ارتبط الشيخ خزعل بالعديد من العلاقات مع الأُسر والشخصيات العراقية وخاصةً البصرية منها . أبرزها علاقته بالسيد طالب النقيب التي طغت على أية علاقة للشيخ خزعل مع باقي الشخصيات العراقية .

بدأت تلك العلاقة في سنة ١٨٩٠ . فالشيخ خزعل الذي كانت له ممتلكاته في البصرة ، كان يرى في السيد طالب النقيب خير من يتولى رعايتها وحمايتها بحكم نفوذه في المدينة . ثم تطورت العلاقة بينهما بحكم رغبة كلٍ منهما لضمان استقلاله المحلي في منطقته وضمان مصالحه ، وكان الشيخ خزعل يقدم له مساعدة مالية شهرية . كانا يتبادلان الزيارات في البصرة أو المحمرة ولم تكن لاجتماعاتهما صفة رسمية .

تجلى التحالف بين السيد طالب والشيخ خزعل بعد تزعم السيد طالب للمعارضة في العراق ضد الإتحاديين الذين تخلوا عن مبادئهم في انقلاب سنة ١٩٠٩ . واستطاع أن يَجر معه في ذلك الصراع الشيخ خزعل الذي كان يضمر للإتحاديين كرهاً شديداً كذلك كان الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت . وكان السيد طالب يرى أن هذا التحالف سوف يُساعده في تكوين الإمارة المستقلة التي يطمح لها في جنوب العراق .

بهذا التحالف استطاعوا أن يجتمعوا في مؤتمر الفيلية عام ١٩٠٩ وأن يُفشّلوا خطط الوالي سليمان نظيف ، ثم الدخول في عضوية حزب الحرية والائتلاف

أولاً ثم بجمعية البصرة الإصلاحية التي تألفت بدلاً من الحزب الأول .

ويظهر أن السيد طالب كان يُدرك أن خططه لا تكتمل إلا بوجود الشيخ خزعل والشيخ مبارك لعدة اسباب ، أولها إدراكه أن تزعمه للحركة العربية يتطلب تعاون الزعماء الآخرين ، وثانيها أنَّ السيد طالب كان بحاجة إلى الأموال والسلاح التي يُساعده بها الشيخان ضد مناوئيه . فضلاً عن أن حكومة الإتحاديين ستفكر ملياً قبل الإقدام على أية خطوة ضد السيد طالب لتخوفها من تأثير ذلك على الشيخين الآخرين . وبدأ ذلك التخوف من محاورة حكومة الإتحاديين له بدلاً من استعمال سياسة العنف معه بسبب هذه الصداقة .

وقُبيل الحرب العالمية الأولى اجتمع السيد طالب بحليفيه الشيخ خزعل والشيخ مُبارك في مؤتمر المحمرة الذي دعا إليه السيد طالب بُغية وضع قواعد للحكومة المستقلة لكل طرف من الأطراف ، وإيجاد إتحادية الزعماء العرب كلٌّ ضمن منطقته ولكن ضمن السيادة الإسمية للدولة العثمانية .

وعندما احتل الإنجليز الفاو سنة ١٩١٤ وتقدموا نحو البصرة كان موقف السيد طالب حرِجاً لا سيما أن جاويد باشا طلب من حامية البصرة إلقاء القبض عليه ولِذا قرر السيد طالب ترك البصرة والتوجه إلى الكويت وأرسل كتاباً للشيخ خزعل بهذا الصدد .

بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى عاد السيد طالب إلى العراق سنة ١٩٢٠ ورشح نفسه لعرش العراق مثلما رشح الشيخ خزعل نفسه مما أوجد المنافسة بينهما ، إلى أن نفي السيد طالب إلى سيلان فتخلص الشيخ خزعل من أحد منافسيه . وبعد عودة السيد طالب إلى العراق لم يُجرِ أي اتصال بينه وبين الشيخ خزعل حتى عندما حدث النزاع بين رضاخان والشيخ خزعل سنة١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ .

الشيخ خزعل وثورة العشرين :

عند اندلاع الحرب العاليمة الأولى واحتلال الإنجليز البصرة صدرت فتاوي الجهاد . ولما كان الشيخ خزعل يُحاول موازنة موقفه بسبب موقعٍ الأحواز الستراتيجي في المنطقة وما يُحيط بها من إطماع أجنبية فإنه لم يتخذ موقفاً إزاء تلك الفتاوي مما جلب له الإستنكار من بعض رجال الدين حتى المرتبطين معه لعلاقات وطيدة كالشيخ عبد الكريم الجزائري .

غير أن تطور الأحداث فيما بعد جعل الشيخ خزعل يُجدد موقفه ، فعندما اندلعت ثورة في النجف ضد الإنجليز سنة ١٩١٨ ناصر زعماءها وحال دون قيام الإنجليز بنفيهم إلى الهند ورحب بقدومهم إلى الأحواز .

وعندما حدثت ثورة العشرين في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ وقف الشيخ خزعل إلى جانب زعمائها ، فقد لقي الشيخ عبد الواحد الحاج سكر الرعاية من وزارة في البصرة عدة مرات .

كان لموقف الشيخ خزعل صدى عميق في العراق . وعند بدء الترشيح لعرش العراق طلب منه الشيخان عبد الكريم الجزائري وعلي كاشف الغطاء ترشيح نفسه ، فكتب له الجزائري قائلاً : « أنت لك الخصوصية على من سواك ، فلو أعطيتهم بعضك لأعطوك كلهم » .

أما الشيخ علي كاشف الغطاء فقال له : « بك يتم استقلال العراق » .

الترشيح لعرش العراق :

كان من نتائج ثورة العشرين فشل السياسة البريطانية في السيطرة المباشرة على العراق إذ تأكد عدم رغبة العراقيين بسلطة الإحتلال ومحاولتهم الإستقلال عن الإدارة البريطانية بشتى الوسائل ، فحاولت بريطانيا تحويل سياستها إلى سيطرة غير مباشرة على العراق .

وكان المشروع الذي رسمته تكوين حكومة وطنية تتألف بعد اختيار ملك

على عرش العراق . وحمل المشروع السير برسي كوكس من لندن إلى بغداد في ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ بعد أن قابل الشيخ خزعل في المحمرة قبل وصوله إلى بغداد . وأكد له جدارته كمرشح للإنتخاب . وعند وصوله بغداد كان على كوكس الدعوة إلى تكوين حكومة مؤقتة تمهيداً لانتخاب ملك على العراق ، وتشاور في هذا الأمر مع المستشارين الإنجليز المس بيل ، وجون فيلبي والميجور بولارد . ونتيجة لمشاوراتهم تكونت أول حكومة مؤقتة برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد ، وذلك في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ .

كانت الخطوة التالية ترشيح شخص ليصبح ملكاً على العراق ، وبدأت أسماء المرشحين تتوالى . وكان هناك برهان الدين إبن السلطان عبد الحميد وآغاخان زعيم الطائفة الإسماعيلية في الهند وأمير نجد عبد العزيز بن سعود وعبد الهادي العمري زعيم الموصل ، والشريف الهاشمي علي حيدر وعبد الرحمن الكيلاني رئيس الحكومة المؤقتة ، وطالب النقيب زعيم البصرة الذي نُفي خلال الحرب العالمية الأولى وكان يتمتع باحترام في العراق ووزير الداخلية في الحكومة المؤقتة والذي كان يطمح بتكوين إمارة عربية إسوةً بالشيخ خزعل ، والأمير عبدالله بن الحسين من أشراف مكة الذي وافق عليه الإنجليز في البداية ولكن ضعف موقفه بِظهور أخيه الأمير فيصل على مسرح الأحداث ، والذي كان يدعم أكثر الساسة البريطانيين .

أما آخر المرشحين للعرش فهو الشيخ خزعل أمير المحمرة الذي كان أول من فكر بترشيح نفسه لِعرش العراق حتى قبل إعلان الترشيح رسمياً . وقد كتب إلى كوكس بهذا الخصوص ، وكان الساسة البريطانيون يقومون بإرضائه رغم عدم جدية الموضوع بالنسبة لهم إذ كانوا يرون أن الشيخ خزعل يهدف من تنصيبه إلى ضم الأحواز إلى العراق وتكوين مملكةً واحدة .

وفي أوائل سنة ١٩٢١ بدأت المنافسة على عرش العراق وكان الشيخ خزعل والأمير فيصل والسيد طالب النقيب من أشد المتنافسين ، وكانت بريطانيا ، رغم تظاهرها بالوقوف على الحياد ، تعمل بنشاط سِراً لعرقلة نشاط مُنافسي الأمير

فيصل ، ثم أعلنت موقفها صراحة خِلال المؤتمر الذي عقدته دائرة شؤون الشرق الأوسط لوزارة المستعمرات البريطانية برئاسة وزير المستعمرات ونستون تشرشل في القاهرة بين ١٢ ـ ١٤ آذار ١٩٢١ . وتدارس المؤتمرون مؤهلات المتنافسين ووقع الإختيار على الأمير فيصل باعتباره أفضلهم . غير أن المنافسة لم تتوقف واستمر الشيخ خزعل في ترشيخ نفسه رغم ما كان يُصادفه وقد سره ذلك وأيقن أن الفرصة قد سنحت له أكثر ليُجرب حظه ، ناسياً أن بريطانيا قد أبعدته لِضمان فوز مُرشحها الأمير فيصل .

بعد ذلك لّمحت المس بيل للشيخ خزعل للتنازل عن العرش ولكنه رفض في البداية حتى أبحر الأمير فيصل إلى العراق وتأكد من ذلك فتنازل بعدما ذهب إليه مُزاحم الباجه جي ونوري السعيد وجعفر العسكري إلى البصرة وأقنعوه بِعدم جدوى ترشيحه لأن جميع الأوساط تؤيد فيصل . وزاده إقتناعاً إلقاء تشرشل وزير المستعمرات خطاباً في مجلس العموم البريطاني قال فيه : « إن حكومة صاحب الجلالة تعتبر الأمير فيصل المرشح الأنسب في الميدان وتأمل حصوله على تأييد غالبية الشعب العراقي » .

وهكذا ، بعد أن يئس الشيخ خزعل أعلن تنازله في البصرة أمام العديد من الوجهاء العراقيين وصرح بتأييده لسمو الأمير فيصل الحائز على جميع الصفات والمواهب المؤهلة لتولي عرش العراق .

وجدير بالذكر أن الشيخ خزعل كان يواجه في هذا الوقت تنسيقاً بريطانياً إيرانياً ضده ، فقد طلبت منه الحكومة الإيرانية قبول حكام إيرانيين للفصل في القضايا الحقوقية وتأسيس دائرة شرطة يكون رئيسها من عائلة الشيخ خزعل وضباطها من الإيرانيين ، إلا أن الشيخ خزعل رفض الطلب ، ثم سحب ترشيحه لما يمثله ذلك من خطورة بعد ما رأى تلك التحرشات .

الموقف من الكيان السياسي الجديد في العراق :

وصل الأمير فيصل إلى البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١ على متن الباخرة البريطانية نورث بروك وكان في استقباله عدد كبير من وجهاء البصرة ماعدا الشيخ خزعل الذي لم يأت لاستقبال الأمير فيصل . ورغم عدم حضوره أرسل له الأمير فيصل كتاباً بيد متصرف البصرة آنذاك ، ضمنه تحياته مذكراً إياه بتقدير والده الشريف حسين له . وغايته من ذلك كسب ود الشيخ خزعل باعتباره الخطر الوحيد الباقي أمامه بعد نفي السيد طالب نقيب إلى الهند ثم تقديره للمكانة التي يحتلها الشيخ خزعل في البصرة مما سيؤثر على سير انتخابه إذا كانت الأمور سيئة بينهما .

وفعلاً صدقت توقعات الأمير فيصل . فعندما جرت عملية الإستفتاء في البصرة سنة ١٩٢١ قاومت عشائر الشيخ خزعل في شط العرب التصويت للأمير فيصل ولاءً منها للشيخ خزعل . وعندما راجعهم مدير شط العرب بهذا الخصوص وافق بعضهم على الإنتخاب بشرط تسجيل أسمائهم كعشائر الشيخ خزعل ، إلا أن المتصرف رفض هذا الشرط فبعث محمد رضا بهادر وكيل الشيخ خزعل ، برسالة إليه يطلب رأيه برقياً حول هذا الموضوع .

أما الحكومة العراقية فقد أصدرت أوامرها إلى دائرة الطابو في البصرة تمنعها من اعطاء إجازة شراء أملاك للشيخ خزعل ولشيخ الكويت وعدم تسجيل المبيعات في الطابو ، حتى أنها رفضت تسجيل الأملاك بإسم أبناء الشيخ خزعل وأرسل محمد رضا بهادر رسالة للشيخ خزعل يعلمه أن سبب تلك الأوامر هو رفض العشائر تسجيل أسمائهم في عداد الناخبين في شط العرب .

وبعد أن تأزمت الحال إلى هذه الدرجة تدخل المستشار البريطاني في لواء البصرة وتوسط بين الطرفين وطلب المساعدة من الشيخ خزعل لإنجاز الإستفتاء واستجاب الشيخ خزعل فكتب لابنه الشيخ كاسب يدعوه لحث رؤساء العشائر بتوقيع لوائح الاستفتاء فشكل الشيخ كاسب لجنة لمتابعة القضية وصوّت رؤساء

العشائر وأفرادها لصالح الأمير فيصل الذي نصب ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١ . وحصل الشيخ خزعل بسبب موقفه هذا على شكر المستشار البريطاني .

وعندما توج فيصل ملكاً أرسل الشيخ خزعل إلى متصرف البصرة رسالة ضمنها تمنياته للملك فيصل بالتوفيق في حكمه العراق وبدت العلاقات ودية بين الشيخ خزعل والحكومة العراقية خاصةً بعدما رحب الشيخ بأن تكون المحمرة مركزاً للمباحثات العراقية السعودية حول مشاكل الحدود عام ١٩٢٢ . أما سبب اختيار المحمرة فلكونها محايدة وأميرها محايداً فضلاً عن أن الشيخ خزعل صديق لأمير نجد عبد العزيز بن سعود واختيار المحمرة سيوافقه بعدما رفض ابن سعود إرسال وفده المفاوض إلى بغداد خشية وقوع بعض التأثيرات السياسية على الوفد المرسل . وبالفعل وافق عبد العزيز على المكان بسهولة . كما أن الشيخ خزعل أفاد من اختيار المحمرة مقراً للمؤتمر إذ دعم مكانته لدى بريطانيا وقد عقد المؤتمر في قصر الشيخ خزعل بالفيلية بغيابه لوجوده آنذاك في مدينة الأحواز .

غير أنه بعد ثلاثة أشهر من انتهاء المؤتمر نشب خلاف بسيط بين الحكومة العراقية والشيخ خزعل على الحد الفاصل بين البصرة والمحمرة سرعان ما سوي بتخطيط الحدود .

وفي العام التالي التقى الشيخ خزعل والملك فيصل لأول وآخر مرة عندما قام الملك فيصل برحلة إلى البصرة في حزيران سنة ١٩٢٣ . فعندما سمع الشيخ خزعل بمجيء الملك فيصل إلى البصرة قام بزيارته في دار المتصرف وكان يرافقه ولي العهد الشيخ عبد الحميد . وخلال تلك الزيارة انفرد الشيخ خزعل بالملك فيصل وتباحثا ، كما دعاه الشيخ خزعل لزيارته فزاره الملك فيصل في يخته الخزعلي الراسي في شط العرب حيث اقيمت له مأدبة كبرى حضرها وجهاء البصرة . وأمام هؤلاء بايع الشيخ خزعل الملك فيصل قائلاً : « والله لو أتاني غيرك لما تخليت عنها ولكن جاءني ابن جلدتها فمثلك من يستحقها لأنك حفيد محمد الرسول الأعظم » .

وفي اليوم التالي عاود الشيخ خزعل زيارة الملك فيصل في البصرة قبل عودته إلى بغداد .

ثم أخذ الود الظاهري يتوارى تدريجياً بسبب موقف الملك فيصل من الصراع بين الشيخ خزعل ورضاخان والتزام العراق موقفاً محايداً ظهر في مناسبتين أولاهما عندما عقد الملك فيصل مؤتمراً عبّر فيه عن رفضه لموقف الصحف من النزاع وطلب منهم إيقاف حملاتهم ، والثانية عندما أصدر مجلس الوزراء قراراً نص على التزام الحكومة العراقية الحياد التام تجاه الحركات العسكرية القائمة في إقليم عربستان .

ويبدو أن موقف الملك فيصل كان نتيجة الضغط البريطاني عليه ، إذ لم تعد بريطانيا بحاجة لوجود الشيخ خزعل بقدر ما هي بحاجة للتقرب إلى رضاخان الذي زاد تقربه من الروس، وكان الملك فيصل يدرك أن أية مخالفة منه للتعليمات البريطانية تعني له الكثير لاسيما بعدما رأى كيف تخلت عن الشيخ خزعل .

يضاف إلى ذلك أن علاقة الحكومة العراقية الحديثة النشأة لم تكن حسنة مع جارتها إيران في تلك الفترة ، إذ إن رضاخان كان يرفض في إطار الأطماع التوسعية الإعتراف بالحكومة العراقية الجديدة وباستقلال العراق، لذلك فإن وقوف الملك فيصل مع الشيخ خزعل سيؤدي إلى تفاقم هذا الجفاء في الوقت الذي كان يحاول إزالته . ولذا اعتبر الملك فيصل أن وقوفه على الحياد قد يلين من موقف رضاخان تجاهه .

ولم تقف الحكومة العراقية عند هذا الحد ، بل إنها بعد اختطاف الشيخ خزعل عام ١٩٢٥ وانهيار إمارته بالإحتلال الإيراني قدمت اعتراضاً على بقاء بساتين الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح في البصرة دون استيفاء الضرائب منها . وقام بالاعتراض ياسين الهاشمي وزير المالية في وزارة جعفر العسكري الثانية . وكان تبريره أن الشيخين تمتعا بالاعفاء زمناً كافياً جزاء ما قاما به أثناء الحرب العالمية الأولى . ثم بادر الهاشمي إلى إلغاء الإمتياز سنة ١٩٢٦ مستنداً

إلى المـادة ٩٢ من القانـون الأساسي العراقي، فبعث بكتاب إلى المعتمـد السـامي هنـري دوبس لإعلامـه . ولكن دوبس لم يرد عليـه بل رفـع الكتـاب إلى رئيس الوزراء . فنشب خلاف بين الحكومة العراقية والمعتمد السامي تدخلت على أثره وزارة العـدلية في الأمـر ، إذ أرسل وزيـرها رؤوف الجـادرجي رسالـة إلى مجلس الوزراء أكد فيه أن القانون صريح ولا يجوز الإعفاء إلا بإصدار قانون خاص .

ولكن بسقوط الوزارة العسكـرية أجلت القضيـة وأعيد فتحهـا خلال حكم الوزارة السعدونية الرابعة التي دخلها ياسين الهاشمي وزيراً للمالية أيضاً. فأصدر أمراً إلى متصرفية البصرة لجباية الضرائب من بسـاتين الشيخـين . وعندمـا طلب دوب إيقاف القرار لم يجب إلى طلبه فأرسل رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون رسالة إلى وكيله يونغ أكد له فيها أن الضرائب على الشيخـين بدأت سنـة ١٩٢٤ وأن الإعفاء غير قـانوني وطلب من يـونغ عـدم تقديم التـماس لأن القضية ليست ضمن التعهدات التي أخذ الملك فيصل على نفسه تنفيذهـا في العراق . كـما أكد لـه أن الشيخـين تمتعـا بـالإعفـاء مـا فيـه الكفـايـة طـوال تلك السنـوات وقـرر السعدون :

١ـ إن الإستمرار في الإعفاء لا يسوغه القانون .
٢ـ أصـدر التعليمات لـوزارة المالية لجبايـة الرسـوم المفـروضـة إبتـداء من سنـة ١٩٣٠ .
٣ ـ إبلاغ الشيخين أن الحكومة العراقية قامت بما في وسعها لتنفيذ وعـد الإعفاء الممنـوح لهما وأنه يستحيـل الاستمرار في تنفيـذ الوعـد دون خرق القـانـون الأساسي .

ولكن قرار الوزارة السعدونية لم يطبق لسقوط الوزارة السعدونية الرابعة سنة **١٩٢٩** وانتحار رئيس الوزراء عبـد المحسن السعدون . وبقي أمـر هذه المشكلة **عـالقاً** حتى ألف نـوري السعيد وزارتـه الأولى سنة ١٩٣٠ فـأصدر أمـراً بتوقيف القرار وأرسل كتاباً إلى المعتمد السامي همفريز طلب فيه حل تلك القضية العالقة منذ سنين . وبعد مكاتبات طويلة أصدر السعيد قانونـاً سنة ١٩٣١ (رقم ٦٩)

قضى بشطب التحقيقات حول بساتين الشيخين خزعل ومبارك وعدم استيفاء الضرائب من البساتين .

عادت هذه القضية وفتحت عام ١٩٣٦ في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية التي رفضت إعطاء تشريع خاص وانتقدت قانون السعيد رقم (٦٩) معتبرة إياه مخالفاً للمادة ٩٢ من القانون الأساسي العراقي إلا أن وزارة الهاشمي لم تستمر إذ سقطت وبذا أغلقت القضية نهائياً وظلت أملاك الشيخين دون رسوم .

علاقات الشيخ خزعل بالأمراء العرب :

بالإضافة لعلاقة الشيخ خزعل بالعراق كان له علاقات عربية أخرى لاسيما مع الإمارات الخليجية القريبة من إمارته والتي كانت الكويت أقربها إليه . فقد ربطت بينه وبين أمرائها علاقات وثيقة وصلت ذروتها في عهد الشيخ مبارك الصباح .

بتسلم الشيخ خزعل الحكم إزدهرت العلاقات بين الكويت والمحمرة لدرجة لم يسبق لها مثيل . وكان ذلك نابعاً من الصداقة التي كانت تربط بين الشيخ خزعل والشيخ مبارك وكثيراً ما كانا يلتقيان في الفاو حيث تقع أملاك أخويهما في بساتين النخيل .

وبسبب تلك الصداقة أقام الشيخ مبارك الإحتفالات والزينة بمناسبة تسلم الشيخ خزعل الإمارة ، كما سافر إلى المحمرة ليقدم للشيخ خزعل التهاني شخصياً . واستمرت تلك الصداقة طوال عهد الشيخ مبارك وكانت على ما يبدو نابعة من تشابه وضعهما السياسي إذ كان الشيخ خزعل يحاول الإستقلال عن الحكومة القاجرية بينما كان الشيخ مبارك يحاول الإستقلال عن الدولة العثمانية. كانت الزيارات تتكرر بين الشيخين وبنى كل منهما قصراً للآخر ، فبنى الشيخ خزعل للشيخ مبارك قصراً في مقره في الفيلية ، وبنى الشيخ مبارك للشيخ خزعل قصراً قرب قصره في الكويت تخليداً لصداقتهما حتى أن الشيخ خزعل لم يكتف

بهذا القصر فبعدما وجد أن مناخ الكويت يلائم صحته بـادر إلى بناء قصرين لـه على البحر أحـدهما للحـريم والآخر للضيـوف وأثثهما بـالأثاث الفـاخر . بـل إن الشيخ خزعل قام بعد وفاة الشيخ مبارك بالإقتران من إحدى زوجاته .

كـان للصداقـة التي ربطت بـين الشيخين الأثـر الكبير في تـوحيد مـواقفهـما السياسية . فقـد ساعـد الشيخ خـزعل الشيـخ مبارك في حـرب الأخير مـع عبد العزيز الرشيد أمير حائل سنة ١٩٠١ وزوده بالسلاح ومقابل هـذه الخدمـة رفض الشيـخ مبـارك مـطالب المقيم السيـاسي الـروسي في بـو شهـر للحصـول عـلى الإمتيـازات في الكويت كـما رفض عقد أي إتفـاق مع روسيـا بسبب مسـانـدتهـا للبلجيك ضد الشيخ خزعل في مشكلة الجمارك . وجنى الشيخ مبارك ثمار موقفـه هذا ، إذ منع الشيخ خزعل مديـر الجمارك البلجيكي من التعـرض لبضائـع تجّار الكويت وصار الشيخ خزعل يؤمن طرق مرور البضائع الكويتية بعد معاناتها من أخطار القرصنـة . أما الشيـخ مبارك فـوقف مرة أخـرى بجانب الشيـخ خزعـل وسانده في أزمته مع قبيلة النصار فطلب من الشيخ خزعل ترحيلهم وإسكانهم في الكويت لإراحة صديقه الشيخ خزعل . كما ساعد الشيـخ خزعـل ضد قبيلة بني طرف ونقل له السلاح على مركبه الخاص . هـذا بالإضـافة إلى التحـالف الذي عقداه بينهما وبين السيد طالب النقيب واتفاقهـما في الرأي خـلال مؤتمري الفيليـة والمحمرة .

بعد وفاة الشيخ مبارك سنة ١٩١٥ خلفه ولده الشيخ جابر الثاني (١٩١٥ - ١٩١٧) إلا أنـه لم يكن ثمة تقـارب بينه وبـين الشيخ خـزعل سـوى مـا كـانت ترسمه السياسة البريطانيـة التي جمعت بينهما في مؤتمـر الكويت سنـة ١٩١٦ الذي دعا اليه كوكس . ولم يحضر الشيخ خزعل إلى الكويت إلا عند وفاة الشيخ جـابر سنة ١٩١٧ لتقديم التعازي شخصياً .

وعندما تولى الشيخ سـالم الصباح الحكم حضر الشيـخ خزعـل إلى الكويت للتهنئة وخلال فـترة حكمه زار الشيخ خزعـل الكويت مـرات عدة . كـما دخل طرفاً في الخلاف الذي نشب بين الشيخ سالم المعروف بميوله للأتراك وبـين المقيم

البريطاني بيل واستطاع الشيخ خزعل من تخفيف حدة الخلاف ، فعادت العلاقات بين الشيخ سالم وبريطانيا إلى طبيعتها فمنحت الحكومة البريطانية الشيخ سالم وسام نجمة الهند وحضر الشيخ خزعل حفلة تسليم الوسام .

وكان للشيخ خزعل دور كبير في الخلاف الذي حدث بين جماعة الأخوان بزعامة فيصل الدويش والشيخ سالم سنة ١٩٢٠ . وقدم الشيخ خزعل للشيخ سالم ٥٠٠ من أحدث أنواع البنادق وقام في الوقت نفسه بمحاولات عدة لحل النزاع بالطرق السلمية فطلب الشيخ خزعل من الشيخ سالم مصالحة ابن سعود إلا أن الشيخ سالم لم يسمع النصيحة وتأزم الوضع بين الطرفين فاصطدم الدويش مع الكويتيين في معركة الجهرة التي خسروها .

لذا وجد الشيخ خزعل أن أهم شيء يمكن القيام به هو الإتصال بالسير كوكس لحسم النزاع بين نجد والكويت غير أن كوكس لم يتحمس للموضوع وصرح للشيخ خزعل بأنه مشغول في مشكلة الثورة الناشبة آنذاك في العراق (ثورة العشرين) وطلب من الشيخ خزعل أو أحد أبنائه تولي الوساطة .

بعد موافقة الطرفين السعودي والكويتي استعد الشيخ خزعل للوساطة . فزار الكويت وتداول مع الشيخ سالم حول مسألة الصلح واتفق رأيهما على إرسال وفد إلى نجد يتألف من الشيخ أحمد الجابر ولي عهد الكويت والشيخ كاسب ولي عهد المحمرة وعبد اللطيف المنديل وعبد الله النفيسي وعبد العزيز البدر وسافر على متن الباخرة « مشرف » التي أهداها الشيخ سالم للشيخ خزعل لهذا الغرض وبعد موافقة الحكومة البريطانية .

ولكن خلال المفاوضات توفي الشيخ سالم شيخ الكويت . فطلب الشيخ خزعل من الوفد المفاوض العودة حالاً ، ووصلوا الكويت سنة ١٩٢١ حيث تسلم الشيخ أحمد مقاليد الحكم بحضور الشيخ خزعل الذي بعث برسالة إلى شيخي البحرين والأحساء يشكرهم على احتفائهما بوفد الصلح ، ثم غادر الشيخ خزعل الكويت عائداً إلى المحمرة .

بعد هذه الزيارة لم يقم الشيخ خزعل بزيارة في عهد جابر سوى مرة واحدة . ثم لم نعد نسمع عن أي اتصال بين الشيخين سوى خلال فترة الصراع بين الشيخ خزعل ورضاخان ، فقد بعث الشيخ خزعل بعدة رسائل إلى الشيخ أحمد الجابر يطلب منه ارسال السلاح لمساعدته في ثورته ، كما طلب منه مراقبة قبيلة النصار المقيمة في الكويت خشية ثورتها . غير أن الشيخ أحمد لم ينفذ كل رغبات الشيخ خزعل وقد يكون ذلك بإيعاز من الحكومة البريطانية التي أبلغت الشيخ أحمد بعدم إرسال النجدات للشيخ خزعل ، ولم يكتف الشيخ أحمد بذلك بل إنه بعد اختطاف الشيخ خزعل لم يبد الشيخ أحمد أي استياء لا بل اتخذ بعض الخطوات ضد الشيخ خزعل منها مطالبته باسترداد الباخرة « مشرف » التي أهداها والده الشيخ سالم للشيخ خزعل ، وعدم سماحه لمن فر من الجنود الإيرانيين بالإلتجاء إلى الكويت عند حدوث ثورة الغلمان سنة ١٩٢٥ ، وأخيراً رد طلب الشيخ خزعل باسترداد أمواله التي استدانها بعض تجار الكويت منه في وقت سابق . فقد طلب منه السندات التي تؤكد ذلك ، وعندما أرسل الشيخ خزعل هذه السندات قدم الشيخ أحمد المعاذير .

وهكذا انتهت علاقة الشيخ خزعل بآل الصباح رغم ما قدمه لهم من مساعدات طوال حكمه .

أما علاقة الشيخ خزعل مع الإمارات الخليجية الأخرى فكانت محدودة بالنسبة لعلاقاته مع شيوخ الكويت . من ذلك علاقته بعبد العزيز بن سعود منذ أن كان هذا يسكن الكويت مع والده محاولاً إستعادة حقه في حكم نجد . وقد مكنته تلك العلاقة من القيام بوساطات عدة بين الكويت ونجد باعتباره صديق الطرفين . ومما يذكر عن ابن سعود أنه خاطب الشيخ كاسب خلال ترؤسه وفد الصلح بين الكويت ونجد عام ١٩٢٠ بقوله « إنني مستعد للتنازل عن كل حق لي ولو أدى ذلك إلى التخلي عن الرياض إكراماً لمقدمك وإجابة لرجاء أبيك » . كما وافق الأمير عبد العزيز على اختيار المحمرة مكاناً للتفاوض مع الحكومة العراقية حول خلاف الحدود سنة ١٩٢٢ نتيجة صداقته مع الشيخ

خـزعل . ولكن رغم تلك الصـداقة فـإنهما لم يتبادلا الـزيارات في إمـارتيهـما إلا لماما .

كـذلك كـان ثمة مـراسلات بـين الشيخ خـزعل والشيـخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين خلال وساطة الشيـخ كاسب والشيـخ أحمد الجـابر للصلح بين الكويت ونجد ، كما بعث لـه الشيخ خـزعل ببعض الهـدايا الثمينـة دون أن يلتقيا في أية مناسبة .

الفصل الرابع

موقف الشيخ خزعل من الأطماع الايرانية في الأحواز

دأبت إيران منذ مطلع العصر الحديث على انتهاج سياستها التوسعية في منطقة الخليج العربي وكانت الأحواز إحدى النقاط الرئيسية التي تطلعت لاحتلالها .

لقد عجزت عن تحقيق ذلك بغزواتها العسكرية المتكررة فحاولت عن طريق المداخلات الدولية وهو ما تمثل بعقد معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٧ التغلغل في إمارة الأحواز ثم فرضت سيطرتها الكاملة عليها . غير أن الشعب العربي الأحوازي تمكن من التصدي لتلك الأطماع ورفض الشيخ جابر بن مرداو الإذعان لأوامر الشاه ناصرالدين القاجاري الذي إضطر بعض عشر سنوات من عقد تلك المعاهدة إلى الإعتراف بإمارة الشيخ جابر الذي حصل على استقلالها عام ١٨٥٧ بمرسوم ملكي من قبل الشاه ناصرالدين نص على ما يلي :

١ ـ تكون إمارة الأحواز للحاج جابر بن مرداو ولأبنائه من بعده .
٢ ـ تبقى الجمارك تحت إدارة الدولة الإيرانية .
٣ ـ يقيم في المحمرة المأمور من قبل الدولة الإيرانية يمثلها لدى أمير الأحواز ومهمته تنحصر في الأمور التجارية فقط .
٤ ـ يتعهد أمير الأحواز بنجدة الدولة الإيرانية في حال اشتباكها بحرب مع دولة أخرى .

وعندما وجدت الحكومة الإيرانية أن الشيخ جابر نهض بإمارته ووطد

علاقاته الخارجية ، بينما كانت علاقاته بها إسمية ، شرعت بتدبير مكيدة له أوقعته بها وزجت به في السجن حتى عام ١٨٦١ حيث عاد إلى حكم الإمارة بعد أن أخذت الحكومة الإيرانية بعض الضمانات .

أما بعد تلك الفترة فقد ساد الهدوء النسبي العلاقة بينه وبين إيران إلى أن توفي سنة ١٨٨١ وخلفه ولده الشيخ خزعل في حكم الإمارة ، بينما كان الشاه ناصرالدين في الحكم . وكان قد بدأ برحلات إلى أوروبا لإجراء إتصالات حول منح إمتيازات لبريطانيا وروسيا القيصرية ، وكانت الأحواز من جملة المناطق التي كان الشاه يخطط لإدخالها في دائرة الإمتيازات ، بيد أن الشيخ خزعل شيخ المحمرة كان يحاول من جانبه دعم استقلال إمارته ونفوذها ، لذا اصطدمت مصالح الطرفين ، وبدأت بريطانيا التي كان من المقرر أن تصبح الأحواز ضمن نفوذها ، تقلق لموقف الشيخ خزعل . لذا أخذت تحرض إيران سنة ١٨٨٣ لإحتلال المحمرة متذرعة بتقارب الفرنسيين مع الشيخ مزعل . إلا أن الشاه ناصرالدين نجح في فتح الإمتيازات لبريطانيا رغم رفض الشيخ مزعل . فمنحها إمتياز الملاحة النهرية في نهر كارون سنة ١٨٨٨ رغم تهديدات الشيخ مزعل إذا حاولت إيران التدخل في شؤونه ، فكان رد فعل الشيخ مزعل إزاء ما قامت به إيران أن أوعز لأتباعه بمضايقة السفن المارة عبر نهر الكارون إنتقاماً منها ، وردّت إيران على ذلك بإحتلال مدينتي تستر ودسبول عام ١٨٩٦ .

بعد هذه الأحداث قتل الشاه ناصرالدين على يد أحد أتباع الشيخ جمال الدين الأفغاني ، وتولى العرش بعده ولده الشاه مظفرالدين . وكان كسابقيه من حيث عدم إهتمامه بشؤون الدولة بقدر ما كان يهتم بالسعي لتحقيق السياسة التوسعية في المنطقة .

أما في الأحواز فقد حدثت تغيرات تزامنت مع التغيرات في إيران إذ قتل الشيخ مزعل وتولى لإمارة الشيخ خزعل فبدأت بذلك صفحة جديدة من تاريخ العلاقات بين إيران وإمارة الأحواز .

علاقة الشيخ خزعل بالأسرة القاجارية .

عندما تولى الشيخ خزعل الحكم في الأحواز سنة ١٨٩٧ كانت الأسرة القاجارية تتولى السلطة في إيران . وتمثل رد فعلها بإرسال السفينة الحربية برسيبوليس للإستيلاء على المحمرة مستغلّةً التطورات التي حدثت في الإمارة . غير أن الشيخ خزعل هيأ وسائل الدفاع اللازمة بشكل أفشل التحرك الإيراني وأرسل قوات لاسترداد مدينتي تستر ودسبول اللتين احتلتهما إيران في عهد مزعل ، وتمكن من استعادتهما فعلاً سنة ١٨٩٨ .

في تلك السنة اضطرت إيران للإعتراف بالشيخ خزعل حاكماً للأحواز بعد مفاوضات بهذا لشأن قام بها محمد علي البهبهاني مستشار الشيخ خزعل . وجاء في الاعتراف : « نقرر إعطاء الامتيازات التي كانت لمزعل خان إلى الشيخ خزعل وتثبيتها له ومنحه لقب معز السلطة وحاكم جميع المنطقة التي كانت لمزعل خان » . كما اهدته سيفاً مرصعاً والعديد من الأوسمة ، فضلاً عن الألقاب التي مُنِحَتْ لأولاده .

بيد أن الشيخ خزعل رغم مظاهر التقارب بينه وبين إيران كان يرفض أن يكون لتلك الدولة أي ظل عليه ، ولذا سعى دوماً لتأييد استقلاله التام ، وقد أجرى اتصالات مع بريطانيا لمعرفة موقفها بهذا الشأن ، غير أن بريطانيا لم تشجعه على نهجه في الاستقلال التام خوفاً من ارتماء إيران في أحضان روسيا القيصرية .

لقد أثار الشاه مظفر الدين موضوع السيطرة على المحمرة والاستيلاء على جماركها وصرح بأنه لن يتردد في إرسال قوات لإحتلالها . غير أن أسلوب التهديد هذا لم ينفع مع الشيخ خزعل الذي رفض تسليم الجمارك البالغة قيمتها ٤٠٠٠٠ جنيه إسترليني إلى الحكومة الإيرانية باعتبار أن شيوخ المحمرة كانوا مسؤولين عنها منذ عهد الشيخ جابر . ولما أيقنت الحكومة الإيرانية عدم جدوى اسلوب التهديد الذي اتبعته ، لجأت إلى اسلوب المفاوضات ، فجرت بين الطرفين

مفاوضات رأسها عن الحكومة الإيرانية سالار الدولة الابن الثالث لمظفرالدين شاه والذي كان يشغل منصب الحاكم العام الإيراني في الأحواز ، بينما مثل الشيخ خزعل فيها مستشاره البهبهاني . وخلال تلك المفاوضات قدم سالار الدولة مقترحات أهمها حسم المبالغ المستلمة من الجمارك من الأتاوة المفروضة على الشيخ خزعل ، أو الضريبة على أراضيه أو من راتبه الشهري ، وتولية الشيخ خزعل رئيساً لجمارك المحمرة .

على هذا الأساس وافق مبعوث الشيخ خزعل على تلك المقترحات وأصدر الشاه مظفرالدين مرسوماً بهذا الشأن . ومنذ سنة ١٩٠٢ أصبحت الاتفاقية المبرمة سارية المفعول ، وبذا سُوِّيت مشكلة الجمارك .

بيد أن العلاقة بين الشيخ خزعل والحكومة الإيرانية لم تتحسن بعد هذا الإتفاق ، إذ استمر الشيخ خزعل على عدم إقامة علاقات مع الحاكم الإيراني ، فضلاً عن أن إيران كانت من جهتها تشعر دائماً أن سلطة الشيخ خزعل أقوى بكثير من سلطة الحكام المحليين الذين تعينهم ، حتى أنهم لم يكونوا قادرين على القيام بشيء في الإمارة دون مساعدة الشيخ خزعل . ولذا فكرت الحكومة بالإنتقاص من مكانته الاقتصادية التي منحتها له ، لإضعافه . فحاولت زيادة التعرفة الجمركية بمقدار ٥٪ وزيادة فرض رسوم جمركية أخرى ، لكن الشيخ خزعل رفض ذلك بشدة وفي الوقت نفسه أعلم بريطانيا بنوايا إيران وطالبها بالإعتراف باستقلاله . لكن بريطانيا لم تستجب لذلك وأبلغه الوزير البريطاني المفوض في طهران أرثر هاردنغ أن بريطانيا تتعهد بحمايته ضد الاعتداء وحماية إمارته فقط ، كما هدد هاردنغ الحكومة الإيرانية بعدم المساس باستقلال الشيخ خزعل .

على كل ، فإن موقف الشيخ اضطر الحكومة الإيرانية إلى إصدار قرار بأنه لا يحق لها استرداد أي جزء من الأراضي الممنوحة للشيخ خزعل إلّا عن طريق نزع الملكية مقابل الثمن المعقول . ثم منح الشاه مظفرالدين للشيخ خزعل عدة

فرمانات سنة ١٩٠٣ تضمنت تمليكه « الفلاحية » باعتبارها الموطن الأول لعشائر كعب وهنديجان وديه مولا والأراضي الأميرية في المحمرة وجزيرة خضر (عبادان) وبهمنشير وكارون التي يسكنها العرب والطوائف والعشائر التابعة للشيخ خزعل وجميع الأراضي غير المسكونة ليسلمها إلى عشائره تزرعها وتقطن فيها . كما منحت له أملاك مينوحي وطرا ومحله وشلهة وشطيطة والبوحمد والفياض وحفار وأبو جديع بعد أربع سنوات من منحه الأراضي السابقة .

وحين اجتاحت إيران الثورة الدستورية سنة ١٩٠٥ اتخذ الشيخ خزعل موقفاً محايداً منها ، فلم تؤيد الشاه مظفرالدين في بداية الثورة رغم جميع الكتب التي أرسلتها للشيخ والتي تلح عليه بطلب الوقوف معه ضد أنصار الثورة . وأكد الشيخ خزعل موقفه بعد مجيء الشاه محمد علي الذي حاول أيضاً استمالة الشيخ خزعل إلى جانبه باعترافه للأخير بجميع الفرمانات التي منحها له والده الشاه مظفرالدين سنة ١٩٠٣ ، ومنحه فرمانات جديدة بتمليكه العديد من الأراضي الأخرى سنة ١٩٠٧ ومنحه « تمثال همايون » ووسام « آل قاجار » إلا أن الشيخ خزعل لازم الحياد بسبب محاولة خانات البختيارية الذين تزعموا المعارضة ضد الشاه جذبه أيضاً ، وبذا لم يقدم الشيخ خزعل العون للطرفين رغم ما أشيع بأنه هدد الشاه لصالح أنصار الدستور .

وبصورة عامة فإن الثورة الدستورية واتفاق سنة ١٩٠٧ بين بريطانيا وروسيا أفادا الشيخ خزعل ، إذا إجتاحت البلاد نتيجة لتلك الظروف موجة من الفوضى والإضطرابات لم يستطع القاجاريون تفاديها ، خاصة بعد أن أصبح أحمد شاه ملكاً على البلاد سنة ١٩٠٩ بعد فرار والده الشاه محمد علي ، وكان الشاه الجديد صغير السن فلم يكن عمره يتجاوز إحدى عشرة سنة . وعين عضد الدولة القاجاري ـ أكبر العائلة آنذاك ـ وصياً عليه .

خلال ذلك كان الشيخ خزعل يؤكد على استقلاله . فرفض دفع الأموال المترتبة عليه إلى الحكومة الإيرانية بموجب مرسوم ١٨٥٧ . غير أن بريطانيا كانت تنزعج من نهج الشيخ خزعل في تأكيد استقلاله مدعية أن اتفاق ١٩٠٧ لن يؤثر

عليه . وكانت دوافع بريطانيا تنبع من عدم رغبتها في أن ترى حدوث اشتباك مسلح بين الشاه والشيخ خزعل لما يترتب عليه من نتائج خطيرة تمس ذلك الإتفاق .

ظلت العلاقة بين الشيخ خزعل والحكومة الإيرانية بعيدة عن الود دون حدوث أية خلافات حتى عام ١٩١١ عندما أثير النزاع بين الشيخ خزعل وخانات البختيارية حول مدينتي تستر ودسبول ، فقد وقفت الحكومة الإيرانية ضد مطالبة الشيخ خزعل بالمدينتين مؤيدة في ذلك خانات البختيارية في ادعاءاتهم بهما . ويبدو أن الحكومة الإيرانية كانت تخشى تعاظم نفوذ الشيخ خزعل إذا نجح في ضمهما إلى حكمه . ولذا قطع الشيخ خزعل نهائياً ما عليه من ضرائب للحكومة القاجارية منذ عام ١٩١٣ . وعندما حاولت بريطانيا التوسط بين الطرفين رفض الشيخ خزعل إعطاءها المبلغ كاملاً كما في السابق بل أراد إعطاءها ريعاً جزئياً يحول إلى حكومة طهران .

وظلت علاقة الشيخ خزعل بالحكومة الإيرانية على هذا الأساس حتى نشوب الحرب العالمية الأولى التي أعلنت فيها إيران وقوفها على الحياد ، بينما ساند الشيخ خزعل بريطانيا ضد الدولة العثمانية ، وقد انعكس موقف الشيخ خزعل هذا انعكاساً إيجابياً عليه ، إذ انه في الوقت الذي ازدادت فيه قوة الشيخ خزعل كانت الحكومة الإيرانية تزداد ضعفاً . لهذا ، واعترافاً من وزارة الداخلية الإيرانية بقوة الشيخ خزعل كانت تبعث له الرسائل تبين له فيها كافة القضايا التي تحدث في العاصمة كتغيير الوزارات ورؤسائها أو تعيين حكام الأقاليم وغير ذلك .

كما قام الشيخ أحمد بزيارة للمحمرة جدد فيها للشيخ خزعل جميع الفرمانات التي منحه إياها الشاه مظفرالدين وألبسه وسام « تاج كيان » كما ألبس ولديه الشيخ كاسب والشيخ عبد الحميد وسام « تمثال همايون » من الدرجة الثانية . وطلب الشيخ أحمد من الشيخ خزعل مقابل ذلك أن يشد إزره ويسانده إزاء

التهديدات التي تجابهه حيال معاهدة ١٩١٩ . وعاهد الشيخ خزعل الشاه على ذلك كما حمله بعض الهدايا .

بيد أن الأمور بين الشيخ أحمد والشيخ خزعل لم تستمر على هذه الصورة من الود ، ففي عام ١٩٢١ وعلى أثر انقلاب جاء رضاخان إلى الحكم ليصبح وزيراً للحربية في الحكومة الايرانية ، وليقلب موازين الأمور في جميع الأحداث التي حصلت في إيران بعد تلك الحقبة .

علاقة الشيخ خزعل برضاخان

في ٢١ شباط ١٩٢١ قام رضاخان بانقلاب في إيران بالإشتراك مع ضياء الدين الطباطبائي وهو إحدى الشخصيات الوطنية في إيران . كانت ظروف إيران مهيأة لهذا الإنقلاب فالشاه أحمد ضعيف الشخصية والفوضى تعم إيران دون أن يقوم الشاه بأية مبادرة لإيقافها فضلاً عن السبب الرئيسي في الفوضى وهو هياج الرأي العام نتيجة معاهدة ٩ آب ١٩١٩ التي عقدتها الحكومة الإيرانية مع بريطانيا . وكانت بنودها قد وضعت إيران تحت السيطرة البريطانية التامة في الإدارة والجيش وبقية المجالات الأخرى ، ولكن رغم عقد هذه المعاهدة فإن الوزارات المتعاقبة رفضت إبرامها لتخوفها من غضب الجماهير التي كانت ساخطة على المعاهدة . وزاد الأمور تعقيداً غضب بريطانيا لعدم توقيع المعاهدة وحيرة إيران في كيفية التصرف في مثل هذه الظروف .

عندما قاد رضاخان إنقلابه كان آنذاك رئيس فرقة حرس القوزاق يساعده السيد ضياء الدين الطبأطبائي الذي كان قد طلب المساعدة من فرقة القوزاق ورئيسها رضاخان لمساندته وتأييده للحيلولة دون توقيع المعاهدة الإنجليزية - الإيرانية ، والتي كان البرلمان على وشك إبرامها بسبب الضغط البريطاني . لبى رضاخان النداء وتوجه مع قواته من قزوين إلى طهران لإحباط إبرام الإتفاقية .

إستطاع رضاخان السيطرة التامة على الوضع ، وأول ما فعله إلقاء القبض على الذين عقدوا المعاهدة وأرسلهم إلى المنفى ثم وقع معاهدة صداقة روسية -

إيرانية بعد خمسة أيام فقط من الإنقلاب والتي سميت بمعاهدة موسكو، وبموجبها انسحبت روسيا من جميع الأراضي التي كانت تحتلها في شمال إيران واعترفت باستقلال إيران .

بعد ذلك تألفت وزارة الطبأطبائي الذي تسلم رئاسة الوزارة وتولى رضاخان فيها منصب القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية . وقد كان اختياره وزيراً للحربية نابعاً من اهتمامه في تلك الفترة بالجيش وتنظيمه بعد أن كان مشتت الشمل ناقص العدد ، وهذا يتعارض وفكرة رضاخان القاضية ببناء دولة حديثة ترتكز على جيش قوي يستطيع تنفيذ مخططاته التوسعية بالقضاء على سلطة الشيوخ والأمراء المستقلين . ولهذا السبب وضع يده على وزارة المالية وتسلم أمورها ليتمكن من تدبير خطته بشأن الجيش الذي استطاع تحويله إلى جيش حديث ومنظم في مدة قصيرة .

غير أن رضاخان الذي كان يسيطر على كافة الأمور رغم وجود الشاه أحمد ورئيس الوزارة الطبأطبائي ، وأجهبته بعض المشاكل بعد فترة وجيزة من إنقلابه ، أولاها الخلاف الذي نشأ بينه وبين رئيس الوزارة الطبأطبائي بعد أقل من مائة يوم على الإنقلاب . ويبدو أن الطبأطبائي ندم على طلب العون من رضاخان لأن الأخير كان يريد السيطرة التامة على كافة الأمور . وبسبب هذا الخلاف أجبر رضاخان الطبأطبائي على الإستقالة فترك الحكم دون رجعة .

بعد إستقالة الطبأطبائي أصبح أحمد قوام السلطنة حاكم مقاطعة فارس رئيساً للوزراء وظل رضاخان يشغل المنصب نفسه. وكان أمامه مشكلة الإمارات المستقلة خاصة أن بعض الجماعات أعلنت انفصالها عن إيران مستغلة فرصة الإنقلاب . وكانت مناطقها في كيلان وخراسان وغيرهما من المدن . لذلك قام رضاخان ، من أجل تثبيت قوته ، بكسر شوكة (كوجك خان) الذي انفصل في كيلان وأعدمه . وبذا وضع نهاية لجمهوريته الموالية لروسيا ، كما قضى على حركة (محمد تقي خان) في خراسان وحركة الشيخ محمد خياباني في كردستان ، وحركة سيمكواغا في أذربيجان . وكان

للمعاهدة الروسية الإيرانية الأثر الكبير في نجاحه بالقضاء على هؤلاء ، إذ إن هذه المعاهدة أطلقت يده في القضاء على هذه الحركات دون أن تمد الحكومة الروسية يد المساعدة لهؤلاء الزعماء . وبذلك أصبح رضاخان شخصاً قوياً ، وبدا أنه الشخص المؤهل لتصبح إيران تحت سيطرته .

بعد أن انتهى رضاخان من هذه المشاكل لم يبقى أمامه سوى التوجه لتحقيق أطماعه في الأحواز . وبدا الشيخ خزعل خلال تلك الفترة التي جاء فيها رضاخان إلى الحكم في أوج قوته ونفوذه غير أن المتغيرات السياسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى كان لها تأثيرها في إضعاف الشيخ خزعل لا سيما خلال الأحداث التي وقعت فيما بعد بينه وبين رضاخان .

بدأت علاقة الشيخ خزعل برضاخان بداية حسنة . فقد أهدى له الشيخ خزعل أفراساً عربية وسيفاً ثميناً . غير أن الموقف لم يحل دون أطماع رضاخان التوسعية حيث كان يرى في الشيخ خزعل أخطر ما يجابهه . وجاء على لسانه قوله : « إن من أهم ملوك الطوائف شيخ المحمرة الذي من أجله اضطررت لترك العاصمة والتوجه نحو الجنوب حيث أصدرت أمري بإعادة الأمن والإستقرار إلى جنوب إيران كما أعدته إلى شماله . ولكن مشاغلي كانت كثيرة فأرجأت الأمر إلى حين . غير أن شيخ المحمرة كان على علم تام بما أضمره نحو جميع ملوك الطوائف . وكان أشد ما يخشاه أن يأتيه الدور . . . » ألخ . لذا فإن رضاخان فكر طويلاً قبل الإقدام على عمل ضد الشيخ خزعل ، وبدأ بمطالبته بدفع ما بذمته من ريع لم يدفعه منذ عام ١٩١٣ . إضافة إلى مطالبته بدفع كامل الريع لما بعد عام ١٩٢٠ . وقد كانت القيمة الإجمالية لهذه الديون تبلغ ٥٠٠٠٠٠ تومان . وهي في حقيقة الأمر ذريعة يبرر بها الخطورة العسكرية التي ينوي القيام بها .

لذا وجد رضاخان مشكلة الضرائب خير مبرر لمناهضة الشيخ خزعل وانتدب ماك كرماك رئيس التحصيلات المالية الداخلية للذهاب إلى الأحواز والتفاوض مع الشيخ خزعل وإحصاء الأراضي الأميرية التي تعود إليه . ولكن

الشيخ خزعل رفض المفاوضة مع البعثة في بادىء الأمر مؤكداً أن ذلك مناهض لرسوم عام ١٨٥٧ وأنه دفع الأموال ويجد الأمر مخلاً بمقامه واستقلاله . غير أن رضاخان اعترض على أقوال الشيخ خزعل وأرسل له يقول : إن ضرائب (عربستان) تزيد كثيراً عما التزمه ويجب تسديد المطلوب .

وهكذا تأزمت الأمور . فبينما كان رضاخان يصرح للمستشارين الماليين بالضغط على الشيخ خزعل ، كان الأخير يرفض الدفع . فأعلن رئيس الوزراء قوام السلطنة وأعضاء المجلس النيابي الشيخ خزعل متمرداً على الحكومة . واعترض الشيخ خزعل طالباً رفع التهمة عنه . ثم تدخلت بريطانيا في الأمر وكتب الوزير البريطاني المفوض في طهران إلى المقيم البريطاني في بو شهر طالباً منه إقناع الشيخ خزعل بدفع ما عليه ولو بصورة جزئية حتى تسوى المسألة بين الطرفين خاصة بعد أن أخذت قوات رضاخان بالزحف تجاه حدود الإمارة .

وإزاء الضغط البريطاني وافق الشيخ خزعل على إجراء مفاوضات حول الموضوع . وبدأت فعلاً بينه وبين ماك كرماك مفاوضات انتهت بتقدير الديون على أن يدفع منها الشيخ خزعل ١٠٠٠٠٠ تومان نقداً وتسدد المبالغ الباقية وقدرها ١٥٠٠٠٠ تومان بأقساط سنوية .

أدت نتائج الإتفاقية في البداية إلى الهدوء فتحسنت العلاقات بين الشيخ خزعل وإيران كما بدا من بعض الأحداث ، فقد قام أحد أفراد العائلة المالكة بزيارة الشيخ خزعل في قصره بالڤيلا وحل ضيفاً عليه كما قام الشيخ أحمد بالمرور على الشيخ خزعل في المحمرة خلال سفره إلى أوروبا ، ولدى عودته أرسل الشيخ خزعل ولده الشيخ عبد الحميد لإستقباله . وهناك التقى الشيخ عبد الحميد برضاخان وزير الحربية الذي أبلغه أنه يكن للشيخ خزعل إحتراماً ومودَّة ، وطلب منه أن يوافق الشيخ خزعل على إرسال رضاخان عدداً من الجنود إلى الأحواز ، فطلب من الشيخ عبد الحميد إمهاله لإستشارة والده في الأمر .

أكد هذا الأمر رئيس الوزراء الجديد مستوفي الممالك الذي خلف قوام

السلطنة . وقد رجا منه رضاخان نقل طلبه إلى الشيخ خزعل مستغلاً صداقة رئيس الوزراء للشيخ خزعل . وأكد له رضاخان أن عدد الجنود لن يزيد على المائتين . ولم يعارض الشيخ خزعل من جانبه ووافق على ذلك .

غير أن وزارة مستوفي الممالك سقطت وخلفتها وزارة مشير الدولة . وفي عهدها بدأت كتائب الجيش تغادر أصفهان إلى الأحواز وعلل رضاخان إرسالها بأنها لحماية حقول النفط من هجوم العشائر . وصلت القوة إلى تستر ولم يكن دخولها صعباً . وقد أدى هذا إلى نزع السلاح وإعدام ثلاثة عشر من شيوخ العشائر .

غير أن الصعوبة كانت في تكملة المسيرة إلى الأحواز . إذ إن الطريق إليها كانت بيد العشائر المناصرة للشيخ خزعل، وعبور تلك القوات صعب. لذا أخذ باقرخان قائد الجيش يتردد على الأحواز لزيارة الشيخ خزعل ويظهر له الطاعة تقرباً منه بينما كان في باطن الأمور يتدخل في أمور العشائر العربية المجاورة لتستر ودسبول محرضاً إياها على التمرد على الشيخ خزعل . ولم يكتف بذلك بل طلب من الشيخ خزعل في إحدى زياراته السماح بإرسال عدد من الجنود للمرابطة في مدينة الأحواز (الناصرية) غير أن الشيخ خزعل رفض وهدده بأن لا يفاتحه بهذا الأمر مرة أخرى وإلا سيفتك به . ثم أبرق الشيخ خزعل إلى طهران طالباً سحب باقرخان وإبداله فسحبته الحكومة الإيرانية وعينت مرتضى قلي خان بدلاً منه .

في تلك الأثناء حصلت تغيرات في الحكومة الإيرانية إذ إستقالت وزارة مشير الدولة وتولى رضاخان رئاسة الوزارة إضافةً إلى وزارة الحربية دون أن يبدي أحمد شاه اعتراضاً على ذلك . ولم تمض سوى فترة قصيرة على تسلم رضاخان رئاسة الوزارة حتى سافر أحمد شاه إلى أوروبا تاركاً البلاد بضغط من رضاخان الذي أعطاه إجازة مفتوحة على أن لا يعود إلى إيران مطلقاً . وبذا أصبح رضاخان الآمر الناهي في جميع الأمور .

بعد أن أصبح رضاخان رئيساً للوزراء أخذت الصحف الإيرانية تهاجم الشيخ خزعل مدعية أنها تتلقى الرسائل من الرعية الذين يقطنون الإمارة . يشكون فيها سوء المعاملة التي يلقونها من الشيخ خزعل . كما كانت مكاتب الأنباء السوفياتية تذيع شكاوى مدعية أنها مقدمة من قبل السكان إلى رضاخان وأخذت تكيل التهم للشيخ خزعل بتقديم الرشاوى إلى المجلس النيابي وتحريض العشائر ضد حكومة طهران .

أما رضاخان فشرع بتوجيه النداءات ـ ويقصد بذلك الشيخ خزعل ـ محذراً الرعايا الأجانب من التدخل في الشؤون الداخلية وأضاف أن كل الرعايا الداخليين الذين لا يتقيدون بهذا التحذير سيتعرضون لتجريدهم من الحقوق الوطنية والمدنية والنفي من البلاد . ولذلك بحلول عام ١٩٢٤ بدأت الصحف العراقية تشير إلى نية رضاخان مهاجمة الأحواز وإحتلالها . وبدأ منذ ذلك الحين الإستعداد العسكري من قبل رضاخان وأرسل حوالي ٦٠ جندياً إلى تستر بحجة ضرب العناصر المعادية له من أتباع قوام السلطنة رئيس الوزراء السابق والذين وفدوا إلى المحمرة في وقت سابق. وبعث الشيخ خزعل إلى رضاخان خطاباً يبدي مخاوفه من أن يكون قد تأثر بوشايات مؤيد الدولة الحاكم الإيراني السابق في الإمارة . غير أن رضاخان طمأنه بأن يهتم بتصرفات الأشخاص وليس بالشبهات التي يلقيها المغرضون .

حاول رضاخان طمأنة الشيخ خزعل حتى يستكمل استعداداته للإنقضاض عليه في موسم الخريف . وبدأ بتنفيذ الجزء الآخر من خطته بإصدار أوامره إلى موظفي وزارة المالية بإحصاء أراضي الإمارة والوقوف على ما هو أميري وما هو ملك للشيخ خزعل ، غير أن الشيخ خزعل اعترض على هذا الإجراء باعتبار أن جميع أراضي الإمارة ملك له حسب الفرمانات المعطاة له سنة ١٩٠٣ ، وليس لإيران أراضي هناك وأن ما تفعله الحكومة الإيرانية مناقض لرغبات عشائره وأن مركزه سيتعرض للخطر بسبب هذه المشكلة غير أن رضاخان قام بإجراء آخر إذ أعلن أن الأراضي الممنوحة للشيخ خزعل سنة ١٩٠٣ ستعاد ملكيتها للدولة وأن

الشيخ خزعل لا يحق له بيع الأراضي التي يحاول بيـع قسم منها . وقـد استغرب الشيخ خزعل تلك الإجراءات وذكر أن أملاكه ليس فيها شرط عدم البيع ، كـما اعترض على قيام الموظفين بالإحصـاءات . ولكن رضاخـان أيد إجـراءات وزارة المالية . فرد الشيخ خـزعل بـأن هذه الأمـور ما هي إلا تحـرشات لا مـبرر لها . وأجاب رضاخان ببرقية أقل حدة متنازلاً فيها عن كثير من شدته .

في عـام ١٩٣٤ زادت شقة الخـلاف بين الـطرفـين ، إذ كـان لـدى الشيـخ خزعل وثائق رسمية تثبت أن رضاخان عازم على القضـاء على إمـارته ، وأن مـا أبداه رضاخـان من لين لم يكن إلا خـديعة لـه ، لذا اتخـذ الشيخ خـزعل مـوقفاً صلباً إزاء رضاخان وأكد على استقلاله عن إيران ، فألف « حلف السعادة » مـع أحلافه من العشائر كـالبختياريـة واللروالي بشتكوه والقـاشقائيـة . وبعث أحمد شاه من جانبه رسالة إلى الشيخ خـزعل أعلن فيهـا المصالحـة بينه وبينهم وتسـوية جميع الخلافات بتوقيع معاهدة صلح معه ومنحه شرعية « حلف السعادة » . ولذا وجد رضاخان أن مركزه تهدد فعلاً من قبل الشيخ خزعل وأعوانه ، وحار لعـدم إستطاعته إرسال جيش إلى إمارة الشيخ خزعـل كي لا يقع في الخـطأ الذي وقـع فيه عام ١٩٢٢ عندما زحفت قواته على الأحواز وجوبه بمقاومة البختيارية . لـذا أخذ رضاخان يتصرف بخطى مرسومـة وثابتـه . وعبر رضـاخان عن ذلـك بقوله: « لقد فكرت طويلاً قبل اقتحام أكـبر معقل يفصـل بين إيـران والعراق ووضعت نصب عيني ما يقوم به الأجانب من عرقلة لأعمالي . . ألخ » .

كـانت أولى خطوات رضـاخان إثـارة البغضاء والتنـاحر بـين أنصار الشيـخ خزعل في « حلف السعـادة » كي يفوت عليهم فـرصة مسـاعدة الشيـخ خزعـل عندما يهاجمه ، فجعل عشائر البختيارية يتناحرون وينقسمون عـلى أنفسهم حول إختيار الحكام المحليـين فيما بينهم ، كـما انقلب القاشقـائيون عـلى البختياريـة ثم أرسـل رضاخـان بعض ضباط الجيش لتسلم زمـام الأمـور في الإمـارة التي بـدل اسمهـا وسماهـا « خوزستـان » . ثم بدأ يسرب جنـوده بسريـة تـامـة في الإمـارة

وعندما سمع الشيخ خزعل بذلك استفسر من رضاخان فأكد له أن لا ينوي إحتلال الإمارة .

غير أن إستمرار تدفق الجنود على حدود الإمارة جعل الشيخ خزعل يرتاب ، فأوعز إلى قائد حامية تستر صديقة بتدريب أتباعه على السلاح تحسباً للطوارىء ، وأرسل عدداً من أتباعه إلى الأحواز حيث عسكروا هناك . وجاءته بواخر مشحونة بالأسلحة والذخائر الحربية ، إلا أنه ظل حبيس هواجسه وتخوفه من أن ينقض رضاخان فجأة على إستقلاله . فبعث ببرقية إلى عصبة الأمم يشكو فيها مضايقات رضاخان له بواسطة سفير تركيا في طهران ، وكان لتلك البرقية كبير الأثر في طهران وأرسل برقية أخرى إلى المجلس النيابي الإيراني قوبلت بالاهتمام الكبير وناقش الأعضاء ما ورد فيها من مطاليب . وزاد الأمر سوءاً أن عدداً من أعضاء المجلس أيدها لا سيما النواب المستقلين ومؤيِّدي الشيخ خزعل . لذا اعتبرها رضاخان بمثابة إعلان حرب عليه ووصفها بأنها أحدثت زلزالاً قوياً في المجلس مما جعله - كما قال - يصمم على قطع دابر الشيخ خزعل والخزعليين من البلاد .

وهكذا ازدادت العلاقات سوءاً وحدة بين الطرفين . وكان قرار رضاخان لا رجعة فيه، ولكنه ظل يعمل بسرية، حتى أنه أكد للوزير البريطاني المفوض أنه سيعفو عن الشيخ خزعل ان أعتذر له وأعلن خضوعه ، وتعهد بمسامحته ، وما كان هذا إلا خدعة إذ ذكر في مذكراته « لقد أظهرت البرودة وتجاهلت الوضع وأبديت الغفلة بعد أن أيقنت أن هذه المفاوضات ستطول كي يستفيدوا من الوقت غير مدركين أنني أنا الذي سأستفيد من عامل الزمن . وكانت خطتي إرسال الإمدادات إلى حدود خوزستان ومحاصرتها دون أن يشعر العدو بذلك » . وفعلاً نفذ رضاخان خطته وأصدر الأوامر إلى قواته للتأهب للتوجه إلى حدود الإمارة دون أن يعلم أحد وجهتها . وحدثت مناوشات بين أتباع الشيخ خزعل وجنود رضاخان ثم أعلن رضاخان التعبئة العامة في البلاد مدشناً مرحلة جديدة تستهدف إحتلال إمارة الأحواز .

الإحتلال الإيراني لإمارة الأحواز

بعد اكتمال الإستعدادت العسكرية أمر رضاخان قواته بالتقدم إلى الأحواز لتطويقها بغية إحتلال الإمارة وخلع الشيخ خزعل وقد أشرف بنفسه على توزيع الجيش إلى أربعة أقسام :

١ ـ الفرقة المتوجهة من شمال غرب إيران حيث تسلك طريق أذربيجان ثم العبور من كردستان وكرمنشاه إلى نواحي قصر شيرين تحاشياً للإصطدام بوالي بشتكوه .

٢ ـ الفرقة الشمالية تعبر أقصر الطرق المحاطة بآلاف الموانع الطبيعية وغير الطبيعية في خط يؤدي إلى دسبول .

٣ ـ الفرقة الجنوبية تسير إلى أصفهان مخترقة أراضي البختيارية ثم إلى بهبهان ورام هرمز وهي الفرقة الوحيدة التي واجهت فيما بعد بعض المقاومة .

٤ ـ الفرقة التي قادها رضاخان عن طريق بو شهر .

أخذ الشيخ خزعل يعد العدة لمواجهة القوات الزاحفة وصدها ، فإنتقل إلى الأحواز لمراقبة الأوضاع والتنظيمات العسكرية وأصبحت الأحواز منطقة عمليات . كذلك طلب الشيخ خزعل السلاح من شيخ الكويت الشيخ أحمد الجابر لتحسين موقفه لكن الأخير خيب رجاءه. في هذه الأثناء وصل سالار الدولة إلى الأحواز عن طريق البصرة لمقابلة الشيخ خزعل والإتفاق معه . وزاد الأمر سوءاً تعمق الخلافات بين الشيخ خزعل ورضاخان وتعقدت الأمور بحيث أصبح رضاخان يريد الخلاص من مشكلة الشيخ خزعل بأسرع وقت .

أما الشيخ خزعل فقام بعمل جريء للغاية ضد الحكومة الإيرانية إذ طرد جميع الموظفين الإيرانيين وعيَّن الشيخ موسى حاكم مدينة عبادان رئيساً للحكومة في دسبول وعيَّن نجله الشيخ عبد الكريم رئيساً للحكومة في تستر . أما رضاخان فبعد محاصرة قواته الأحواز توجه جنوباً تاركاً العاصمة . ولم يكن سفره مفاجئاً

فقد تهيأ له منذ وصول برقية الشيخ خزعل للمجلس النيابي ولكنه لزم السرية في تنقلاته .

كانت أول محطة لوصول رضاخان هي مدينة أصفهان . وبعد فترة قصيرة احتل الجناح الأيسر للجيش ديه مولا وهند يجان ثم واصلت قوات رضاخان تقدمها وتمكنت من محاصرة الإمارة .

خاضت القوات العربية في الأحواز معارك عدة ضد القوات الإيرانية وألحقت بها خسائر . غير أن عدم تكافؤ الجانبين حسم الموقف لصالح رضاخان . وأذاعت رئاسة أركان الحرب برقية الشيخ خزعل إلى رضاخان يعلن فيها أنه سينسحب خلال ثلاثة أشهر على أن توقف قوات رضاخان عملياتها العسكرية .

بعد ذلك التقى الشيخ خزعل برضاخان في مدينة الاحواز ورغم أن رضاخان عدو للشيخ خزعل إلا أنه أمنه وكلف أولاده بحمايته . وعندما طلب منه بعض رؤساء العشائر العربية استغلال فرصة وجود رضاخان في الإمارة لقتله رفض الشيخ خزعل ذلك باعتباره ضيفه ولا يجوز له الغدر به . وقد عقد الطرفان مؤتمراً تُبودِلَتْ فيه أسباب الخلاف . وبدا للشيخ خزعل أن الأمر انتهى عند هذا الحد . ثم توجه رضاخان إلى المحمرة فاستقبله الشيخ خزعل في قصره بالڤيلا وظل في ضيافته بضعة أيام طاف خلالها أرجاء الإمارة . وقبيل مغادرته طلب رضاخان من الشيخ خزعل بعض المساعدات المالية . ومقابلها طمأن رضاخان الشيخ خزعل أن حال عودته إلى طهران سيسوي الأمور فيما يختص بإمارته كما طلب رضاخان من الشيخ خزعل الموافقة على إبقاء عشرين جندياً في المحمرة ومثلهم في عبادان لحفظ الأمن ووافق الشيخ خزعل على ذلك .

بعد رحيل رضاخان إلى طهران تضاءلت شعبية الشيخ خزعل بين العشائر بسبب تنازله لرضاخان فضلاً عن أن الحكومة الإيرانية زادت الضرائب على العرب المقيمين في الإمارة فوصلت ٥٠٪ وازداد سخط الشيوخ على الشيخ

خزعل الذي تململ من شكاواهم ، وهددهم أنه سيرجع مجرد مالك عادي للأرض ، كما أن الحكومة الإيرانية أخذت تضغط عليه . فالمجلس النيابي الذي اجتمع لبحث قضية المحمرة اتهمه بالتمرد ، وذلك من خلال تقارير رئيس الوزراء رضاخان . كما كانت مطاليب رضاخان على لسان الحاكم الايراني في الإمارة تلح عليه بزيارة طهران ليكون على صلة تامة بالأمور السياسية لبلاده . بيد أن الشيخ خزعل لم يتحمس لهذا الطلب لعدم ارتياحه لنوايا رضاخان . ولذا قابل الحاكم الإيراني بالرفض ، خاصة بعد أن تعرض أهله وبيته وحاشيته لمضايقات وتهم عدة . ووصل الأمر بالسلطات الإيرانية إلى أنها كانت تقوم بحملات لتفتيش منازل نسائه بحجة البحث عن تهريب الأفيون ، كما أرسلت قوات إلى الأحواز حيث جعلت منها عاصمة الإمارة بدلاً من المحمرة وفصلت تستر ودسبول عن الإمارة وألحقتهما بلورستان .

إزاء ذلك رفض الشيخ خزعل الذهاب إلى طهران لعلمه بسوء نية الحكومة الإيرانية تجاهه ، كما خطى خطوات احترازية أخرى ، فبعث بأهله وعوائده إلى مدينة البصرة حيث أملاكه وقصوره ، ولم يعد يخرج من داره إلا للذهاب إلى البصرة حيث كان يقضي معظم أوقاته تاركاً المحمرة بإدارة ولده الشيخ عبد الله ليتولى أمورها . وظل الشيخ خزعل في البصرة حتى نيسان سنة ١٩٢٥ عندما طلب الحاكم الإيراني مقابلة مستشار الشيخ خزعل وأخبره أن السلطات الحكومية أصدرت إليه من طهران أمراً بالإنسحاب من الإمارة والعودة وجنوده خلال يومين ولذا فهو يرغب في توديع الشيخ خزعل ، ولا تسمح الظروف السياسية مع العراق بالذهاب إلى البصرة لتوديعه ولذلك يرجو منه الرجوع إلى المحمرة . وأخبر الشيخ خزعل بالأمر وأبدى القنصل البريطاني الجديد في المحمرة ضمانة لسلامة الشيخ خزعل وبعد أن أقنع الشيخ عبد الله أباه بأن قوات رضاخان خرجت من الإمارة ، عاد الشيخ خزعل إلى المحمرة على متن يخته « الخزعلي » .

لدى عودة الشيخ خزعل زاره الحاكم الإيراني فضل الله زاهدي ودعاه إلى حفلة يقيمها على شرفه في يخت الشيخ خزعل الراسي في شط العرب مقابل قصر

الشيخ خزعل . وقد تردد الشيخ خزعل في بداية الأمر في تلبية هذه الدعوة لكونها في الأيام الأخيرة من شهر رمضان مما يستوجب التنسك والعبادة ، لكن زاهدي طمأنه بأن الحفل سيكون سرياً . ولذا ذهب الشيخ خزعل إليه مطمئناً إذ لم يكن يتوقع الغدر من هذا القائد وجنوده . وكان يرافقه ولده الشيخ عبد الحميد ولي العهد . وولده الشيخ عبد الله وبعض أقارب الشيخ خزعل ومرافقيه .

إنشغل الشيخ خزعل بالحفلة المقامة على شرفه وفي هذه الأثناء وصلت بعض الزوارق إلى اليخت ونزل منها الجنود بحجة تبليغ زاهدي بعض الأوامر ، وما أن بلغ عددهم حوالي ٥٠ جندياً أخذوا بنزع أسلحة حراس الشيخ خزعل . ثم صعد أحد الضباط إلى الباخرة وطلب من الشيخ خزعل الإختلاء به قليلاً ، فأجابه الشيخ خزعل لما أراد إلا أنه ألقى القبض عليه بكل هدوء وقاده وولديه إلى المركب التي نقلتهم من المحمرة إلى الأحواز ومن هناك إلى تستر فدسبول . ولم تحتفظ الحكومة الإيرانية بالشيخ عبد الله طويلاً فأطلقت سراحه في دسبول . أما الشيخ خزعل وولده الشيخ عبد الحميد فاقتيدا من دسبول إلى طهران على ظهر البغال .

وهكذا نجحت الحكومة الإيرانية في إلقاء القبض على الشيخ خزعل بعد فشل محاولاتها السابقة . ثم تقدمت القوات الإيرانية واحتلت المحمرة وعينت حاكماً عسكرياً عليها .

الموقف البريطاني من الإحتلال الإيراني للأحواز

كانت السلطات البريطانية تراقب عن كثب تأزم العلاقات بين الشيخ خزعل ورضاخان ، فكتب برسي لورين ، الوزير البريطاني المفوض في طهران إلى وزير الخارجية اللورد كيرزون يقول « رغم كل مساعدات الشيخ خزعل لنا في الحرب ، فإن وفاءنا بكل تعهداتنا للشيخ سيؤدي بنا إلى حرب مع الدولة الفارسية . كما يجب تجنب أي أمر يشجع الشيخ على إثارة التصادم مع الحكومة

المركزية ، وإن شحن الأسلحة يهيّىء الفرصة للتصادم » . إذ ان لورين كان يعتقد بأن الأسلحة المقدمة للشيخ خزعل سيستخدمها لتسليح البختيارية . لذا اقترح لورين إبقاء ما تبقى من الأسلحة في البصرة تحت سيطرة بريطانيا . وكان تصريح لورين لاعتقاده أن رضاخان سيفلح في السيطرة على جميع البلاد خلال ثمانية عشر شهراً . وأخذ بإرسال التقارير المتضمنة وجهة نظره إلى وزارة الخارجية بغية تأييده . لكن كوكس المندوب السامي في العراق ، خالف وجهة نظر لورين إذ كان يرى وجوب مساعدة وتأييد الشيخ خزعل لأن رضاخان لن يبقى . وكان كوكس يدافع عن الشيخ خزعل لأن إسمه ارتبط به وهو يرى أن لورين يحاول تجريده من إحدى إنجازات العمر البارزة . وقد رد لورين على كوكس بأن المواثيق المعطاة للشيخ خزعل أعطيت عندما لم يكن لإيران جيش يذكر ، وأن على بريطانيا أن تعلم الحكومة الإيرانية بتلك المواثيق تشجيعاً وترسيخاً للنظام في إيران .

ويرى لنشوفسكي أن إدعاء بريطانيا بلسان لورين حول مساعدتها لإيران للحفاظ على استقلالها هو مجرد أكاذيب وتبريرات ، وأن السبب الحقيقي لموقفها هو أن سياستها مبنية على التعامل مع العشائر المحلية القوية إذا وجدت الحكومة المركزية ضعيفة ، وتتعامل مع الحكومة المركزية إذا ما رأتها قوية . وهذا ما حدث بين بريطانيا ورضاخان .

بيد أن بريطانيا كفت عن التفكير في كيفية مواجهة الموقف في حال تصادم الشيخ خزعل ورضاخان إذ انهما توصلا إلى اتفاقية حول مشكلة الإيرادات وقعها الشيخ خزعل دون أن تخسر بريطانيا بذلك حليفها ودون أن تظهر في الوقت نفسه عداءها للحكومة الإيرانية الجديدة ، وكانت بريطانيا ترغب في استمالتها إلى جانبها كي لا تفسح المجال لتدخل الروس في إيران التي تعتبرها منطقة نفوذ لها .

وعلى أي حال ، فإن تأزم الوضع بين رضاخان والشيخ خزعل أثر فيما بعد على الموقف البريطاني . إذ أخذت تفضل التعامل مع رضاخان وتسعى للتقرب

منه . واتضح موقفها عند تقدم القوات الإيرانية نحو الأحواز ، فقد أعطى لورين أوامره بأن لا يقدم للشيخ خزعل حتى التأييد الدبلوماسي إذ أكد لحكومته أن المصالح البريطانية « ستكون أكثر ضماناً عن طريق التقليل التدريجي لمعاملاتنا مع الشيخ والخانات وزيادة التعامل مع الحكومة المركزية » . واكتفى لورين بالتحذير من إيقاع أية أضرار بأنابيب النفط هناك أو تعريض أرواح الرعايا البريطانيين للخطر . كما اقترح وزير الخارجية البريطاني إرسال زورق حربي لحماية المصالح البريطانية في الإمارة .

وعندما قام رضاخان بإبلاغ الشيخ خزعل في تموز ١٩٢٤ بإلغاء كافة الفرمانات المعطاة له سنة ١٩٠٣ طلب الشيخ خزعل من بريطانيا التوسط في الأمر لصالحه . لكن بريطانيا بدأت تميل إلى رضاخان ولذا لم تتدخل بصورة فعلية لصالح الشيخ خزعل .

وحين أعلن الشيخ خزعل ثورته وأرسل برقية للمجلس النيابي في طهران يصف فيها رضاخان بأنه مغتصب البلاد ، تدخلت بريطانيا في الأمر وطلبت من الشيخ خزعل سحب برقيته والإعتذار لرضاخان ، لكن الشيخ خزعل رفض ذلك .

أما عندما أعلن رضاخان صراحة عزمه على احتلال الأحواز بتوجيه نداء لأهالي الإمارة يخبرهم فيه أن سيتحرك نحوهم ، أرسلت بريطانيا مذكرتين أكدت فيهما أنها لا تستطيع منع العشائر من الدفاع عن بلادهم ، إلا أن الشيخ خزعل لم يتفاءل بموقف بريطانيا هذا إذ كان يعتبره وما تظهره من تعاطف معه مجرد كلام ، خاصة بعد فشل ولسن المستشار البريطاني في لواء البصرة بتخفيف حدة الخلافات بتنقلاته بين طهران ولندن والمحمرة .

في تلك الفترة خلف رامزي مكدونالد ستانلي بالدوين في رئاسة الوزارة البريطانية وعين أوستن تشمبرلن وزيراً للخارجية في الحكومة الجديدة التي كانت أكثر تحفظاً إزاء الشيخ خزعل . وصرح القنصل البريطاني في المحمرة بأن بلاده

لن تؤيد مطالب الشيخ خزعل بانسحاب الجنود الإيرانيين من الإمارة . وبرز الموقف البريطاني الجديد بعد أن حصلت بريطانيا على وعد من رضاخان بتجديد إتفاقية النفط التي عقدتها الشركة الإنكلو- فارسية من قبل مع الشيخ خزعل .

لم تكتف بريطانيا بترجيح كفة رضاخان على الشيخ خزعل بل ساهمت أيضاً بما حدث له بعد ذلك من خدعة لنقله إلى طهران . فقد لعب القنصل البريطاني الجديد موني بيني دوراً بإقناع الشيخ خزعل بالعودة من البصرة إلى الأحواز وحضور حفلة زاهدي الحاكم الإيراني في الأحواز إذ أكد بيني للشيخ خزعل أن زاهدي سيرحل عاجلاً وأن حضوره الحفل لا ضير منه . وكان أن حضر الشيخ خزعل الحفل الذي انتهى باختطافه وأخذه أسيراً إلى طهران .

ولم تبد الحكومة البريطانية إي إنزعاج بعد أسر الشيخ خزعل ، إنما اكتفت بالطلب من رضاخان الحفاظ على حياته ، بينما سارع القنصل البريطاني في المحمرة إلى مقر رضاخان مهنئاً بالوضع الجديد ، تحدوه الرغبة بعدم ترك المجال للروس للتقرب إلى رضاخان . والواقع أن القنصل الروسي سارع أيضاً لتقديم التهاني لرضاخان على إلحاق الأحواز بحكمه .

ممارسات المحتلين الإيرانيين وثورة ١٩٢٥ في الأحواز

بعد أخذ الشيخ خزعل أسيراً إلى طهران عام ١٩٢٥ وضع تحت الإقامة الجبرية . وأذاعت الحكومة الإيرانية بياناً ادعت أنه موجه من الشيخ خزعل جاء فيه أنه يتنازل عن حكمه للأحواز وتتولى إيران شؤونها ، وأصدرت قراراً بتعيين ولده الشيخ عبد الله أميراً على الأحواز ومنحته رتبة ملازم ثانٍ في الجيش الإيراني ، في محاولة لامتصاص النقمة التي سببها اختطاف الشيخ خزعل .

أما الجيش الإيراني فبعد إحتلاله الإمارة قام بنهب ما في قصر الفيلية من أثاث ورياش واستولى على ست سفن تجارية منها اليخت الخزعلي المسلح بالمدافع ، وقدرت قيمة الغنائم بثلاثة ملايين روبية فضلاً عن السلاح الذي كان يقدر عدد بنادقه فقط بعشرين ألف بندقية جميعها من الطراز الحديث .

واستفادت الحكومة الإيرانية من موارد الإمـارة . أما أراضي الشيـخ خزعـل فقد ضمها رضاخان إلى ممتلكاته .

لقد تصدى الشعب العربي في الأحواز للمحتلين ببسـالة ، وفي تمـوز ١٩٢٥ اندلعت ثورة قادها بعض غلمان الشيخ خزعل الذين استطاعوا تحرير المحمـرة . بيد أن الحكومة الإيرانية تمكنت في النهاية من إجهاض الثورة وإلقاء القبض عـلى القائمين بهـا . وساعـدها في ذلـك خديعـة أخرى قـامت بها مـدعية أن الشيـخ خزعل أصدر بياناً من مقره في طهران يندد بما حدث في المحمرة ويصف القائمين بها بأنهم أصدقاء حمقى بحاجة إلى عـلاج ، أو أعداء متنكـرين بزي الصـديق . داعياً إياهم للكف عن تلك الحركات الهوجاء لئلا تؤول إلى عواقب وخيمة .

بعد القضاء عـلى الثورة ألقيت تبعتهـا على الشيـخ خزعـل وهو في الأسر إذ صـادرت الحكومـة الإيرانيـة جميع أمـلاكه في إيـران وغرم ٣ مـلايين تـومان من الموجودات النقدية كما صودرت داره الشخصيـة وأبعد ولـده الشيخ عبـد الله من الإمارة وعين حاكم إيراني بدلاً منه .

بعد فشل هذه الثورة حـدثت في إيران تغيـيرات جوهـرية فقـد قرر المجلس النيابي في تشرين أول ١٩٢٥ وبتوجيه من رضاخان ، خلع الشاه أحمد القاجاري وإلغاء كافة حقوق الأسرة القاجارية في العرش ، ثم إجتمع المجلس مرة أخـرى في ١٢ كانون الأول ١٩٢٥ وقرر تنصيب رضاخان شاهاً على إيـران بعد نجـاحه في السيطرة على جميع البلاد . ونصب رضاخان شاهاً فعلياً في ٢٥ نيسان ١٩٢٦ مؤسساً بذلك السلالة البهلوية الجديدة .

كان أول أعمال رضاشاه بعد تسلمه الحكم هـو ترحيـل العشائـر العربيـة في الأحواز إلى مدن بعيدة في محاولة منه لطمس الهوية العربية لهذه الإمارة .

وفاة الشيخ خزعل

توفي الشيخ خـزعل في ٢٦ أيـار ١٩٣٦ في معتقله في طهران بعـد أن عاش إحدى عشرة سنة بصحبة إبنه الشيخ عبد الحميد تحت الحراسة ، حيث لم يمارس

طوال تلك الفترة أي نشاط سياسي ، كما أن أحواله المعيشية كانت متردية . فبعد أن استولت إيران على جميع أملاكه لم يبق معه قبيل وفاته سوى ساعة ذهبية .

أما الأسباب التي أدت إلى وفاته فتكاد تجمع الآراء على أن الشيخ خزعل قد قتل. ولكن الإختلاف يدور حول كيفية اغتياله. فمن قائل أنه مات مخنوقاً على يد شيوخ بني طرف أعدائه الألداء حيث دخلوا القصر الذي يسكنه وقام أحدهم بوضع وسادة على وجهه أزهقت روحه . ومنهم من يذكر أنه مرض أواخر أيامه فجلب له طبيب حقنه بإبرة سامة أدت إلى وفاته . أما حفيده سلمان عبد الكريم الشيخ خزعل فيذكر الحادثة على الوجه التالي : ان الشخصين اللذين قتلا الشيخ خزعل هما مدير المخابرات مقدادي ومدير الشرطة مختاري حيث قتلاه في معتقله . وقد حوكما بعد الحرب العالمية الثانية بعد تنازل الشاه رضاخان عن منصبه وسجنا ثم توفيا في السجن .

أما وفاته فلم تترك ردود فعل ذات تأثير كبير حتى أن الصحف العراقية التي كانت تكثر من نشر أخباره اكتفت بالإشارة إلى خبر وفاته باقتضاب نقلاً عن بيان الحكومة الإيرانية بهذا الصدد .

وبعد وفاته عين المحامي محمد أحمد من قبل محكمة براءة البصرة وصياً على ممتلكاته في العراق والتي تقدر بـ ١٥٠ ألف دينار . أما جثمانه فقد حاول أولاده نقله إلى مقبرة الأسرة في النجف إلا أن رضاشاه رفض ذلك فدفن في طهران ستة عشر عاماً ثم سمحت إيران بنقل جثمانه عام ١٩٥٥ إلى العراق حيث دفن مع ولده الشيخ عبد الحميد في مقبرة الأسرة في النجف الأشرف . وقد توفي الشيخ عبد الحميد بعد والده بثلاث سنوات في معتقله بطهران .

وبذلك انتهت حياة هذا الأمير العربي الذي حكم بحزم ونشاط قرابة ثمانية وعشرين عاماً لكنه مات محاطاً بكل مظاهر الشرف ومحروماً في الوقت نفسه من كل حقوقه كأمير مستقل .

بعد كل هذا السرد الذي يفيض حياة ، وتلك الحياة التي كانت تنبض في

كل خفقة وفي كل كلمة ، في كل حدث مصيري كان يسطره الشيخ خزعل في حياته . . .

قيل بأنه مات ولكن هل يموت من ولد للحياة ومن عاش للخلود ؟

فالمحمرة التي تكاد لا تبصرها العين المجردة في خارطة العالم ، أصبحت بفعل هذا المؤلف ملء العالم لا سيما العالم العربي الكبير الذي يصغر شيئاً فشيئاً ليغدو الخليج العربي أو عربستان فالمحمرة ، ومنها يكبر كالشمس أو كالقمر الذي يولد هلالاً ليكتمل بدراً في الوطن العربي الذي يتجسد في الشيخ خزعل بن جابر ذي الأمجاد العربية والذي صارع الفرس ودول العالم الكبرى وكافح ضد أطماعها في النفط العربي والمركز الإستراتيجي ، والذي ناضل من أجل إستقلال إمارته غير آبه بالإمبراطوريات التي كانت لا تغرب الشمس في أرجائها ، فغربت وأشرق الأمير العربي في دنيا العروبة الممتدة من الخليج إلى المحيط ، وسيظل مشرقاً وحياً ما دام في العالم عروبة ، وما دام في الموسوعات العربية دار تهدي إلى الأمة العربية هذا المؤلف .

وهكذا استطاع الشيخ خزعل ، أمير الأحواز العربي ، أن يكون له شخصية سياسية داخلية وخارجية ضمن فترة حكمه التي امتدت بين عامي ١٨٩٧ - ١٩٢٥ . وساعده في ذلك معرفته الكثير من شؤون المنطقة العربية وسياساتها . وقد انعكس ذلك على أوضاع الإمارة الداخلية حيث ظهرت إمارة الأحواز خلال حكمه أقوى ما ظهرت عليه في عهودها كافة .

إن استقلال الشيخ خزعل وقوة شخصيته السياسية دفعت بريطانيا إلى التعامل معه بثقة كبيرة . وإن تعامله مع بريطانيا أكد بصورة لا تقبل الشك امتلاكه سلطة التعامل مع أية جهة خارجية ، كما ان بريطانيا لم تكن لتتعامل معه لو لم تكن واثقة من استقلاله . غير أن مجمل التطورات التي رافقت الحرب العالمية الأولى وما بعدها ، جعلت علاقة الشيخ خزعل مع بريطانيا يشوبها الحذر نتيجة للموقف البريطاني الجديد إزاء الشيوخ العرب ، والذي اتخذ بعد أن

استطاعت السيطرة على منطقة الشرق الأوسط أثر انتصارها في الحرب العالمية الأولى ، مما يعبر عن طبيعة تعامل بريطانيا القائم على خدمة مصالحها في المنطقة ، فهي لا تعير أهمية للعهود والمواثيق التي تمنحها للبعض في ظروف خاصة .

ومع مجمل تغير السياسة البريطانية ، رشح الشيخ خزعل نفسه لعرش العراق . إلا أن بريطانيا رفضت مساندته خشية إقامة إتحاد بين إمارته والعراق أولاً ، وتأييد كافة سياسييها للأمير فيصل ثانياً ، حيث كان لهم اليد الخفية في إبعاد منافسي الامير فيصل عن العرش . وأدى هذا فيما بعد إلى تعامل الشيخ خزعل بحذر مع الحكومة العراقية الجديدة .

وفي إطار الأطماع الإيرانية إزاء الشيخ خزعل والمنطقة عامة كان لظهور رضاخان ونظرته العنصرية أثر كبير في زعزعة حكم الشيخ خزعل ونهايته . وساعد على ذلك الظروف الدولية آنذاك إذ ان الدولتين اللتين لهما مصالح في المنطقة تصرفتا وفق مصالحهما ، فلم تسانده بريطانيا رغم ما قطعته من وعود بدعوى خوفها من ازدياد النفوذ الروسي في إيران ، خاصة أن رضاخان ارتبط مع روسيا منذ بداية حكمه بعلاقات وروابط وطيدة . أما روسيا فقد ارتبطت كما أشرنا بعلاقات طيبة مع الحاكم الجديد كما إنها لم تكن هي الأخرى مرتاحة لحكم الشيخ خزعل .

وإذا كان الحكم العربي في الأحواز قد انتهى بفعل الظروف الدولية ، فإن عوامل أخرى عديدة ساعدت على ذلك من بينها سياسة إيران التوسعية في المنطقة والتي استهدفت إمارة الأحواز بشكل خاص .

الفصل الخامس

المراسلات والمواقف بين الشيخ خزعل والشخصيات العربية والأجنبية

: ١٥ محرم ١٣٤٢
تاريخ : ٢٩/٨/١٩٢٣

١ ـ برقية من رضاخان إلى الشيخ خزعل

إلى جناب الأجل السردار أقدس

وردت مؤخراً برقيات من حكومة خوزستان يفهم منها أنكم أبديتم استياءكم حول إحصاء الأملاك الأميرية . لقد حز هذا الأمر في نفسي كثيراً وأسفت غاية الأسف . وحيث أني أرسلت لجنابكم العالي برقية منذ أيام أخبرتكم فيها أنني سأتصدى شخصياً لإصلاح هذه المشكلة وأقوم بتسويتها . وكنت أعتقد أنكم تثقون بما وعدتكم به . ولكنكم على ما يبدو لم تعيروا برقيتي اهتماماً يذكر واعتبرتموها برقية عادية . بناء عليه ، وتطميناً لخاطركم الشريف أؤكد لكم مرة أخرى أني سآخذ على عاتقي تسوية هذه المسألة . ولكم أن تعتبروني من أصدقائكم ومحبيكم وأن تبقوا على ولائكم للحكومة ولا يساوركم أدنى شك بنواياها نحوكم .

رئيس الوزراء : رضا

٢ ـ برقية من رضاخان إلى الشيخ خزعل

برقيتكم وصلت . ساءني ما أشرتم إليه فيها . أزيدكم علماً أني لم أقصد انتزاع أملاككم التي تملكونها بموجب الفرمانات التي بيدكم . ولكن تلك

الفرمانات تنص صراحة على أنه لا يحق لكم بيع تلك الأملاك إلى الأجانب ، وهذا ما قصدته في برقيتي . وبديهي أنكم مخيرون في التصرف بتلك الأملاك ولكم كامل الحرية بتأجيرها لمن تشاؤون دون أن تحولوها إلى الأجانب . أما بخصوص قبائلكم العربية فأود أن أوضح لكم أن كل ما أستهدفه هو الحفاظ على راحة رعايا إيران . وإذا شعرت أن أقل ضرر قد يلحق بأحدهم فإني أسعى بكامل قواي لرفع ذلك الضرر . وفي هذه الحالة أرجو أن يطمئن الأعراب من رعاياكم أني لن أغفل عن مراعاتهم والإهتمام بهم ولن أسبب لهم أدنى مضايقة . وأن إخلاصكم لي وحسن نيتكم لإيران وإخلاص أسلافكم لها أذكره على الدوام . وإذا ما حافظتم على هذه الأمور فلا شك أنكم جديرون بكل رعاية واحترام .

رئيس الوزراء : رضا
وآمر كل القرى

قدم الشيخ خزعل عريضة رسمية إلى عصبة الأمم سجل فيه دعوى ضد رضاخان رئيس وزراء إيران بالإعتداء على إمارته العربية المستقلة .

كما قدم برقيات بإسم حزب السعادة إلى أحمد شاه المقيم في باريس يدعوه فيها للعودة إلى إيران عن طريق المحمرة ولكن الشاه لم يرد عليها ولم يشأ أن يزج نفسه في ذلك التيار .

٣ ـ برقية من الشيخ خزعل إلى المجلس النيابي الإيراني بطهران

أرسل الشيخ خزعل بإسم ذلك الحزب برقية إلى المجلس النيابي الإيراني في طهران يشكو فيها مضايقة رضاخان له ولعشائره . وتم ذلك بواسطة سفير تركيا في طهران باعتباره سفير أكبر دولة إسلامية هناك وهذا نصها :

« إن المظالم والطغيان والاعتداءات والاغتيالات وسفك الدماء والقتل العام الواقع على المسلمين من قبل رضاخان سردار سبه (قائد القوات) وضغطه على الحريات وخنقه لأصوات الأحرار طيلة الأربعين شهراً الماضية ، ومطامعه

غير المحدودة ، وتطاوله على كبار رجال الدولة ، وتخطيه حدود واجباته ، وتحديه للمقام الملكي السامي ، وما يبطنه من مطامع لإزالة الشاه والإستيلاء على كرسي السلطنة وما يقوم به من مفاسد أخرى ، كل ذلك أدى إلى إضطراب حبل الأمن واختلال وضع المملكة . ولم يكتف بذلك بل تجاوز تجاوزاً صريحاً على القانون الأساسي المقدس مما سبب انفصام عرى المسلمين وتفكك الجامعة الإسلامية الإيرانية . وحرصاً منا على إطلاق الحريات وفسح المجال لإبداء الآراء السياسية بحرية ورفع أصوات المخلصين قولاً وفعلاً ، نرجو النظر بعين العدل في فصل الخلاف القائم بين رضاخان المسيطر على زمام الحكم في إيران بالقوة وبين حزبنا (حزب السعادة) الذي كان الغرض من تأسيسه النهوض بالأمة الإسلامية وصون استقلال البلاد وحماية الدين الإسلامي الحنيف ، والحفاظ على المذهب الجعفري وتأمين الحرية الفردية ، واستقرار أمن البلاد ، واحترام القانون الأساسي وإطاعة ملك البلاد الشرعي (أحمد شاه) .

إن ما قمنا به تجاه هذا الوطن من خدمات في الأوقات الحرجة غير خاف ولا مستتر ولا أحد ينكر علينا ذلك . وأصدق دليل دعوتنا هذه لشجب الغايات الشخصية والمطامع الفردية .

لقد إضطررنا لإطاعة مقررات مجلسكم الموقر وسلمنا بالأمر الواقع بتأييد الإنقلاب الذي قام به رضاخان وآزرناه إيماناً منا أن الهدف من ذلك الإنقلاب كان إصلاح الوضع وصيانة الدستور وتوطيد دعائم الإستقلال .

أما الآن فلا ندري أضراً أريد بنا أم رشداً . إذ تكشفت لنا منذ سنة الحقائق الثابتة وتأكد لنا سوء نية هذا الرجل وبطانته ووضحت غاياته ألا وهي الإستيلاء على ثروة البلاد والحكم واغتصاب العرش الوطيد منذ عشرات القرون ، لكي يقيم الدكتاتورية الفردية وفي النهاية اضمحلال الدين الإسلامي الحنيف والتفريط بالقانون الأساسي وضياع الحرية والعدالة والمساواة .

لا شك أن رضاخان من ألد أعداء الإسلام ، ومغتصبي الحكم في إيران ومتجاوز على حقوق الأمة وثائر على سيد البلاد (الملك) وناقض للأيمان

العسكرية بإطاعة الملك واحترام القوانين السائدة .

أما نحن فمحافظة على عقيدة الأمة ورغبة في الأخذ بيد المملكة للسير نحو التقدم والإزدهار ، قررنا وضع حد للمطامع الشخصية وإنقاذ البلد مما يكن له رضاخان من نيات سيئة ، ونحن على استعداد لمجابهة كل الصعاب وتقبل جميع الأوامر التي ترذنا من رجال الحكومة المركزية المخلصين .

ونحن على ثقة من أن الله تعالى ونبيه الكريم ورجال الأمة الأطهار وملك البلاد الشرعي (أحمد شاه) يباركون أعمالنا . لقد عاهدنا الله ورسوله وأولياءه على بذل كل غال ورخيص في سبيل إنقاد هذه البلاد من يد هذا الطاغية المغتصب . وإننا واثقون أن نواب المجلس المحترمين يؤيدون دعوتنا .

« **خزعل** »

ثم قدم الشيخ خزعل عريضة رسمية إلى عصبة الأمم سجل فيه دعوى ضد رضاخان رئيس وزراء إيران بالإعتداء على إمارته العربية المستقلة .

كما قدم برقيات بإسم حزب السعادة إلى أحمد شاه المقيم في باريس يدعوه فيها للعودة إلى إيران عن طريق المحمرة ولكن الشاه المذكور لم يرد على واحدة منها ولم يشأ أن يزج نفسه في ذلك التيار .

٤ - برقية الشيخ خزعل إلى أحد كبار رجال الدين : ميرزا مهدي الخراساني

وقد أرسل في الوقت نفسه رسالة إلى أحد كبار رجال الدين المدعو ميرزا مهدي الخراساني يظهر له فيها أن رضاخان هو من أولئك الناس الطامعين بعرش إيران ومن المعتدين على مقام الملك الشرعي ومن أهدافه إيضاً إزالة معالم الدين الإسلامي الحنيف ومحو العرب القاطنين في عربستان من الوجود هذا نصها : ـ

« بسم الله الرحمن الرحيم »

حضرة ثقة الإسلام السيد ميرزا مهدي نجل المرحوم آية الله الخراساني دامت بركاته .

بعد السلام وواجبات الإحترام

لا يخفى على سماحتكم ما قام به الشعب الإيراني من بذل النفس والنفيس في سبيل الحصول على الدستور وكم ضحت هذه الأمة بالنفوس الزكية والأرواح الطاهرة حتى توصلت للحصول على الدستور وانتخبت نواب مجلس الشورى. وقد أمر الله تعالى في كتابه المجيد المنزل على لسان نبيه الكريم (ص) على أن يكون الأمر شورى بين الناس ولكن لا قصد لبعض المتولين الأمر اليوم إلا القضاء على ذلك الدستور وتقويض القانون الأساسي الذي وضع أساسه المرحوم والدكم آية الله الخراساني طاب ثراه، ذلك الدستور الذي بموجبه أمن الناس واطمأنوا على أموالهم وأرواحهم وحرياتهم وعباداتهم من الظلم الديكتاتوري والحكم الفردي المطلق ، وقد انكشف الآن أن القابضين على زمام الحكم قد ضيقوا الخناق على الملك الشرعي الدستوري وأرغموه على ترك بلاده والهجرة من إيران إلى الغرب ، وقد اضطر للهجرة في سبيل حفظ حياته . وقد استمر هؤلاء باللعب في مقدرات هذه الأمة المنكودة وبفرض سيطرتهم على كل شيء . سلبوا حرية مجلس الشورى وأخذوا يهددون نواب الأمة ويخنقون أصواتهم الحرة ، ويقضون على كل معارض لمطالبهم وعلى كل محب للوطن ومخلص للملك الشرعي . وقد استبدوا بالأمور استبداداً لم يشاهد له نظير حتى الآن وليتهم اكتفوا بذلك وحسب بل أعلنوا مخالفتهم للدين الإسلامي والشريعة الحنيفة والمذهب الجعفري . ويبدو شعورهم لإعلان الحكم الجمهوري المغاير للدين الإسلامي ومخالف للمذهب الأثني عشري ويتحايلون لتطبيق الأنظمة البلشفية والشيوعية والإباحية . وقد حصروا السطة بأنفسهم لغرض الإستبداد والظلم والحكم الكيفي وربما لهدم الدين الإسلامي من أساسه بإنقلاب جديد وإحلال النظم البلشفية محله ولكن (يأبى الله إلا أن يتم نوره) وعليه فنحن جميع سكان

عربستان مع حلفائنا قبائل البختيارية وأهالي الولايات المجاورة لنا من سائر العشائر الآخرين نعلن طاعتنا للدولة الدستورية الديمقراطية المشروطية الحقيقية ونؤكد ولاءنا للشاه الذي هو حامي الدستور وأننا على أتم استعداد لبذل آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الدين الإسلامي وصيانة المذهب الجعفري والمحافظة على الدستور وها نحن جميعاً على ظهور خيولنا منادين بأعلى أصواتنا (إننا حفظة الدستور نريد عودة الشاه إلى عرشه ومقره ونطالب تطبيق مواد القانون الأساسي ، روحاً ونصاً ، وإطلاق الحرية للمجلس النيابي ولأعضائه برفع أصواتهم في الكلام لإدارة شؤون البلاد وتطبيق العدل والقسطاط . وحفظ شهادة (لا آله إلا الله محمد رسول الله) وصيانة حرمة الدين وترويج المذهب الجعفري المطهر ورعاية السادات من رجال الدين حجج الإسلام آيات الله في الأمان والحرص على إطمئنان جميع الشعوب الإيرانية وصيانة حريتهم الدينية والفردية والمحافظة على حقوق الناس وأعراضهم) .

ولهذا نرجو من سماحتكم عرض هذه المطالب على أنظار جميع العلماء الأعلام ومن يدين بالدين الإسلامي الحنيف ومن يعتقد بالتشيع لمذهب أهل بيت الرسول ومؤمن بالأئمة الأثني عشر ، لأننا لا نرغب أن يخفى عليهم ما نلاقيه من الضغط والجور وما يجري الآن في إيران (معقل الشيعة) من الإضطهاد .

وخشية من وقوع الدعاية المغرضة لإيقاع سوء التفاهم بيننا وبين بعض علماء الدين كما وقع أثناء الحرب العظمى حيث استطاع بعض المغرضين تشويه موقفنا عندهم ، وإظهاري بالمظهر غير اللائق بي بينما لم يكن موقفي يومئذٍ أكثر من القيام بما أمرني به المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي تغمده الله برحمته من حفظ ثغوري واتخاذ موقف الحياة في تلك الحرب وقد امتثلت لأمره التحريري ، وطبقته حرفياً .

والذي أرجوه الآن من سماحتكم إرسال من تعتمدون عليه من أهل التقوى والصلاح لمراقبة الوضع عن كثب ومشاهدة جهادنا في سبيل حفظ

الدستور والذود عن الحرية المهانة ، كما أرجو من سماحتكم إعلام المجلس المليّ بمقاصدنا السامية وغاياتنا الشريفة وهي حفظ الدستور والذود عن بيضة الإسلام وإطلاق حرية الكلام في ساحة المجلس المقدسة والمطالبة بعودة الشاه ملك البلاد الشرعي إلى مقر ملكه لممارسة سلطته الدستورية وتصديق القوانين العامة المطابقة لأحكام الدستور والقانون الأساسي وها أننا قد بلغنا ولا تثريب علينا بعد اليوم ولسنا بمسؤولين أمام الله والناس عما سيصيب الدين الإسلامي وحرمات الدستور وخنق الحرية والإساءة إلى العقائد المذهبية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

« **خزعل** »

كتاب الشيخ خزعل إلى الشيخ أحمد الجابر شيخ الكويت

كان الشيخ خزعل قد طلب العون إبان ثورته من أصدقائه العرب ، فلم يشد أزره منهم أحد ومن ضمنهم الشيخ أحمد الجابر شيخ الكويت الذي كان الشيخ خزعل ينظر إليه نظرة الولد الوفي .

وكان قد طلب منه في بداية ثورته مده بالسلاح من قبيل الإحتياط للمستقبل وعندما تقدم الشيخ خزعل من الثورة كتب إليه رسالة أخرى أرفق بها ملحقاً يذكر له فيه توغله في الثورة واجتماع القبائل العربية والإيرانية عنده في الأحواز وأنهم اقسموا له الأيمان المغلظة على السير معه في ثورته حتى النهاية . ويذكره بتهيئة السلاح بصورة سرية . وهذا نص ذلك الملحق :

أخبارنا كما أشرنا لكم تلغرافياً .

بحمد الله الأمور جارية حسب الإرادة من حيث المجموع . وأهالي عربستان كافة وشوشتر ودزفول وبني طرف والحويزة وكارون والمحمرة والدورق والجراحي كلهم متفقون قولاً وفعلاً ومتعاهدون وحالفون بالقرآن المجيد أن يدافعوا عن حقوقهم إلى آخر رمق من حياتهم ولو أنهم لا قدرة لهم على المقاومة

في وجه الدولة العلية لكن حاضرون ومستعدون للمحافظة على حقوقهم والدفاع عن وطنهم ولسان حالهم يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والآن جميع الرؤساء عندنا في الناصرية من كعب ومحيسن وباوية وامارة وبني طرف وبني سالة والشرفاء والحويزة وخوانين شوشتر ودزفول وأهل الميناو .، وأنا يا عمك لما شفتهم على هذا الاتفاق انجبرت أن أوافقهم واساعدهم على مقاصدهم وحالاً مشغولين في المذاكرة مع المركز ومقصودنا في الوقت الحاضر أن ترجع الأمور على ما كانت قبل ثلاثة سنين وأن يرفعوا العسكر من منطقة عربستان وإنشاء الله بسلامتك نحصل على مقاصدنا لأن اتفاق أهالي عربسستان هيج الغير أيضاً وتسرب الأمر إلى غير مناطق والكل ينادون بالموافقة مع عربستان . المقصد إنشاء الله تجري الأمور على حسبما نحب وإذا حصلت أمور غير مرضية في مقاصدنا فنحن على ما قال الشاعر :

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

والحقيقة لو تكن حاضر وتشاهد رفاقتك في أي حال وكيف راغبين بالموت على حقوقهم والدفاع عن وطنهم المحبوب لكنت استريت قلباً نسئل الله التوفيق وقضاء الأمور بالقريب العاجل على ما ترومون ونروم وأما من ربعنا محبين للطرفين لهذا الآن أهم أيضاً مشغولين في المذاكرة مع المركز ولا شك أنهم يسعون فيما يصلح لهذا الطرف وأما من طرف أمير مجاهد أمس وصل إلى رامز وبكره يحتمل يوصل عندنا بالناصرية . ومن طرف المطلوب الذي أوصيناكم فيه نرجوكم تحضرونه محرمانه إلى وقت اللزوم .

(تاريخ ٢٧ محرم ١٣٤٣هـ)

فأجابه الشيخ أحمد بتاريخ ٧ صفر ١٣٤٣هـ - (٨ أيلول ١٩٢٤ م) وأرفق به ثلاثة ملاحق يؤيد بها ثورته ويظهر استعداده للقيام بكل ما يمكن عمله وهي كالآتي :

(سيدي متعنا الله بوجودكم وعزمكم

أشرفت على البوصلة الحاوية أخبار السرور إنشاء الله وقد سررت جداً أنا وكافة رفاقتكم بني عتبة من حماس رفاقتنا والنخوة التي قامو بها أمام فخامتكم ضد كل معتدي على حقوقهم إنني والله العظيم كنت في غاية الفكر من هذه المسئلة ولكن عندما وصلني أمركم العالي ووقفت على الحقيقة أطمئن خاطري وقد أفادني أيضاً الحاج يوسف المطوع بالتفصيل الكافي كما شاهد وحمدت الله على ما قسم وأرجو من الكريم المتعال أن يكمد كل عدو لك ويجعل النجاح مقروناً برايتك إنشاء الله تعالى بحسن مساعيك وعلو همتك تكون الأمور طبق المرام وتحمدون العاقبة أرجوك سيدي أن تفيدني عن النتيجة لأني مشغول الخاطر جداً ولا أزال أترقب الأخبار السارة لتنفيذ أوامرك وحاضرين تحت الداعي بالحال والمال والإستعداد مع كمال الممنونية ونسئله أن يمدكم بعنايته ويحفظكم من كل شر بمنه وكرمه) .

سيدي دمة بخير وسرور

من خصوص همة رفاقتنا وإصرارهم على حفظ الشرف والدفاع عن وطنهم فهذا هو المعهود والواجب الله تعالى يوفق الجميع لما فيه الخير والسعادة نحن والله العظيم في غاية الاشتياق لمشاهدة طلعتكم ولا زال فكرنا مشغول عندكم نتمنى أن نكون حاضرين بخدمتكم لاداء الواجب مع رفاقتنا ولكن الأمور مرهونة باوقاتها حقيقة أننا ليس مستقرين همنا وفكرنا عندكم . أجزم واعتقد سيدي لولا بعض الأمور المهمة لما تأخرنا ساعة وعندنا يقين أن فخامتكم تعتقدون بذلك . مهما فيه نحن مصممين إنشا الله عند حصول الفرصة نتوجه لخدمتكم الله لا يحرمنا ذلك ويحفظ وجودكم من كل مكروه بمنه وكرمه) .

سيدي

من جهة الحاجة حسب أمركم عند اللزوم إنشاء الله نراجع المحبين ولا شك أنهم يساعدون في كل أمر يئول منه نجاح فخامتكم بصورة سرية

ونحن والله ما عندنا شيء عزيز عليكم بل نتشرف في جميع أمر يسركم لأن رضاكم وامتثال أمركم علينا فرض نرجو أن الله يوفقنا لذلك ويديم شوكتكم .

ملحق كتاب من الشيخ خزعل أحمد الجابر إلى الشيخ خزعل

سيدي متعنا بدوام بقاك وعزك .

أخذت بيد الخلوص شقتكم العزيزة وتلوتها مسروراً وشاكراً ألطافكم وفضلكم محسوب الجميع ملا صالح أفادنا بما أمرتكم به وعلى كل حال نحن وما نملك تحت أمر الله ثم أمرك والفضل لله ثم لحضرتك سابقاً ولاحقاً وها نحن مستعدون لتنفيذ أمركم مع كمال الممنونية ملا صالح بشرنا بالأخبار السارة وما عملتموه من الترتيبات والإحتياطات اللازمة من كافة الوجوه وصرنا غاية مسرورين ومستبشرين نسأل الله تعالى أن يوفقكم لكل خير ويقرن جميع حركاتكم بالنجاح والفلاح ويؤيد شوكتكم ويكمد أعداكم فأرجو من سيدي دوام رسائلكم السارة وبيان ما يستجد لديكم من المهمات حيث أن الخاطر مشغول وفكرنا لا زال معلق عند حضرتكم فو الله العظيم لولا الأشغال المهمة الحاضرة عندنا لكان ما تأخرنا ساعة عن الحضور بخدمتكم مهما فيه نحن مصممين إنشاء الله عند أول فرصة نتوجه لخدمتكم ربنا يديم حياتكم ويرزقنا مشاهدة أنوار طلعتكم البهية بحال السرور ويوفقنا لخدمتكم وكسب رضاكم بمنه وكرمه .

ملحق كتاب من الشيخ خزعل إلى الشيخ أحمد الجابر

رد عليه الشيخ خزعل بكتاب مؤرخ ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٣هـ (٢٤ تشرين أول ١٩٢٤ م) وأرفق به ملحقاً يظهر له عدم احتياجه الكثير للأسلحة هذا نص ذلك الملحق :

(ملحق خير وسرور

أما تعريفكم عن الذي موجود في الأنبار كما بينه لنا محسوب الجميع ملا

صالح وتأمرون أن ذلك حاضر لقد شكرت احساساتكم القلبية وهذا المأمول من همتكم لا عدمناكم الآن لا حاجة لنا به نرجو إبقاء الشيء حاضر لوقت اللزوم وإذا ترون مناسباً البيان للمحبين عند تحميله فلا بأس بذلك وأن الذي عند الرفاقة تأمرون ما له أهمية فهذا راجع لنظركم ولا شك أنهم ما يمنعون علينا شيء وعندهم مصالحنا أقدم من مصالحهم كما عندنا لهم أيضاً فقط قلنا إذا يوجد شيء زايد عندهم يوصلونه لنا بحسب الأمانة فإذا ما يصير فيه لزوم نرجعه لهم كما هو وأما من همة رفاقتكم كما تعهدون فيهم لا زالوا مصرين على حفظ الشرف والدفاع عن وطنهم المحبوب ونرجو من الله التوفيق للجميع إشارتكم أنه لولا اشغال المهمة الموجودة عندكم لكنتم شرفتم عندنا فهذا ما نعهده في حميتكم وغيرتكم ولكن إنشاء الله بسلامتكم الموجودين هنا كلهم عبارة عن نفسكم وقطعاً ما نرضى تتركون أشغالكم لأن عندنا شغلكم أقدم من كل شيء وبقوة الله وبهمتكم عما قريب الأمور تصفى على ما يحبه الخاطر) .

ملحق كتاب من الشيخ أحمد الجابر إلى الشيخ خزعل

شعور الشيخ أحمد الجابر بالندم

كان لمماطلة الشيخ أحمد الجابر في إرسال الأسلحة إلى الشيخ خزعل وتماهله عن فرض المراقبة على رؤساء قبائل النصار الذين كانوا في الكويت أحدث أثراً سيئاً في بعض الأوساط وكثر النقد والطعن بالشيخ أحمد لتخليه عن الشيخ خزعل في حالة شدته عندئذ ساور الشيخ أحمد شعور بالندم وظن أن الشيخ خزعل قد تأثر مما بدر منه بحقه فكتب إليه وأرفق بها ملحقاً يعتذر إليه ويقول فيه بأنه ليس ثمة ما يوجب التأثر هذا نص ذلك الملحق :

سيدي

قد بلغني أن صاير في خاطركم الشره على أبنكم وكثير حس معي ذلك لأني والله العظيم ما أخبر تعمدت شيء يوجب لذلك ولا الله عندي أعز من

رضاك شيء وجل قصدي الإحترام لمقامك أحب أن تكون في سرور دايم ولا تكون محجوب من ابنك وأني إنشاء الله ما انسى معروفك ولطفك ما دمت في قيد الحياة وأرجو من فضلك إيزالة ما في خاطرك حتى ما إنشاء الله نتشرف بخدمتك وتكون مسروراً ربنا يديم لنا بقاك ويوفقنا لرضاك بالخدمة الخالصة .

ملحق كتاب من الشيخ خزعل إلى الشيخ أحمد الجابر

أما الشيخ خزعل فعندما وقف على هذا الكتاب لم يشأ أن يبدي شيئاً إلى الشيخ أحمد ينم على إستيائه منه ولم يتطرق حتى ولا في إشارة خفيفة لذلك بل كتب كتاباً ودياً بتاريخ ٢ جمادى الأول ١٣٤٢ هـ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٤ م) وأرفق به ملحقاً يشكره فيه على ما أبداه إليه من المحبة ويخبره بأن الحكومة البريطانية قد نصبت نفسها وسيطة لرفع الخلاف الواقع بينه وبين رضا خان وأن الأمور ستنتهي على ما يرام وهذا نص ذلك الملحق :

ملحق خير وسرور

دمتم بخير وسرور

بخصوص الحاجة احتياطاً نرجوكم تكون حاضرة قد يكون يصير لزوم فيها وأني أشكر لطفكم لأنكم أديتم الواجب وهذا الذي كنت أعهده في حميتكم الله لا يحرمني منكم .

أما من أخبارنا من فضل الله وبسلامتكم الأمور منتظمة على حساب الإرادة وخصوصاً مسألتنا مع الدولة لأن رجال الدولة المعظمة البريطانية توسطو في الشغل لهذا الآن مشغولين في مذاكرة الصلح ولنا أمل وطيد بسعوان رجال الدولة المعظمة الأمر يتم على أحسن ما يكون ولهذا السبب حالاً أمرنا على عسكرنا الذي كان في الصويرة يتحرك من هناك وكل من يرجع إلى محله لأن ما بقي لزوم في إبقائهم هناك فلاجل اطلاعكم شرحنا ذلك وكذلك أحوال بني

طرف كما ذكرنا لكم سابقاً هاونة وكلهم متعاونين للخدمة والإطاعة فقط عـاصي الشرهـان من بعد وصـوله إلى بني طـرف بقى كم يوم وتـوفي ويحتمل نعـين أحد أخوانه عوضه شيخ علي عشيرة بيت سعيد ليكن معلومكم .

مذكرة الشيخ خزعل إلى الحكومة البريطانية

لا شك أنكم لاحظتم أن جميع العشائر والمشايخ قد عـرفوا مقـاصد دولـة إيران السيئة ويعلمون ما تنويه الحكومة الحاضرة نحوهم وأهم نـواياهـا الاستيلاء على أراضيهم والاستحواذ على أموالهم وافقارهم وقد اتخذت الحكومـة المذكـورة قضية (الفرامين) ذريعة لأعمالها ومظالمها وسـألتني أنا العـربي الأصيل (الا يمكن الإتفاق معها ومشاركتها لحفظ مصالح الطرفين ؟) فأجبتها : (إنني على استعداد لبذل أكثر ما في الإمكان في سبيل منفعة الوطن) ولكن الحكومـة الإيرانيـة كانت تبطن غير ما تظهير .

وقد اجتمعت جموع القبـائل العـربية كلهـا وبعد تـلاوة آيات من القـرآن المجيـد أقسموا الأيمـان المغلظة وصمموا عـلى وقوفهم في صفنـا وعـدم مخـالفتنـا مطلقاً .

إن هذه الثورة ليست كالثورات السابقة لأن الغـرض من هذه الثـورة دفع الخـطر عن وطنهم وصد الـدولة الإيـرانية التي تـريد اغتصـاب أموالنـا وأراضينا وأملاكنا .

إننـا جميعـاً لا نعتمـد عـلى أقـوال رئيس الـوزراء (رضـاخـان) ولا نؤمن بتأكيداته لأن جميع أقواله وتأكيداته ليست إلا خداعاً ومكراً وأكبر دليل عـلى ذلك مخالفته للوعود التي قطعها للحكومة البريـطانية بـواسطة ممثلهـا في طهران بـأنه لا يسوق الجيوش إلى أراضي عربستان بينما كانت جيوشه في طريقها إلى هـذا القطر كـما وأن الموظفـين الذين أرسلهم إلى هـذه الجهة مـا جـاؤوا إلا لإغضـابي ونهب أموال عشائري . أفراد هذا الشعب العربي الذي مضت عليه القـرون وهو سيـد نفسه وليس لشاه إيران عليه إلا سيطرة إسمية فقط .

وإن أعمال موظفيه جميعها مضرة بمصالحي بينما أكد لنا هؤلاء الموظفين إنما أرسلوا لنفع تلك الدولة وعدم الإخلال بأموال الناس وأرواحهم وفوق كل ذلك أخذوا ينشرون بين بعض قبائلي العربية آراء تضر بأولئك العشائر وقد سمموا أفكارهم نحوي وألبوهم ضدي وهذا مما يخالف الواجب الذي أرسلوا لتأديته مخالفة صريحة وأن أعمالهم هذه خارجة عن نطاق اختصاصهم .

وفق كل هذا فإن رئيس الوزراء (رضاخان) يثير الإشاعات المغرضة فيوماً يدعى بأنه سيرسل أحد الحكام الإيرانيين إلى عبادان وفي اليوم الآخر يظهر بأنه سيسند الولاية العامة في عربستان إلى وإلي إيراني ومرة يبدو بأنه سيعين رئيساً للبلدية وتارة أخرى يقول بأنه سيرسل رئيساً إلى المحمرة . وهكذا لا يمر يوم إلا وينتشر خبر لا يخلو من المساس بأعمال إمارتي .

هذا بالإضافة إلى تحريضه الصحف للوقوف ضدي وكيل التهم الشنيعة لي وتصفني بأشياء لا حقيقة لها ولم تنل منه العقاب ولم يقدم إحداها إلى المحاكم ولم يتنازل لتوقيف تطاولها علي بل كان ظهيراً لها وتستمد القوة منه لنشر هذه الأقوال الكاذبة والأخبار الملفقة .

ولهذا فإني لا أعتقد بأقوال رئيس الوزراء ولا أعتبر تأكيداته ولو أقسم ألف يمين ولكني أقتنع إذا أكدت لي الحكومة البريطانية رسمياً وكتابياً إنها تؤمن لي الشروط الآتية :

أولاً : ـ جلاء آخر جندي إيراني من عربستان لأن بقاء الجنود في هذه البلاد يساعد على الثورات والإضطرابات .

ثانياً : ـ يجب تأكيد جميع الفرمانات التي أحملها رسمياً دون نكول فيها بعد .

ثالثاً : ـ إبقاء الواردات التي كنت أدفعها كما هي في السابق وبنفس المقدار وأن يعتبر الإتفاق الذي كنت قد عقدته مع المستر (مكرمك) لاغياً لأن الحكومة الإيرانية أهملت تعهداتها .

رابعاً : ـ يجب أن يؤمن جميع حلفائي وأصدقائي وأن يصدر بحقهم جميعاً عفو عام شامل وإني سأجاهد ما استطعت لحفظ أنابيب النفط ولكن لا يغرب عن بالكم أن الحكومة القائمة في إيران عدوتي سوف تجتهد لإيقاع الضرر بالأنابيب مهما استطاعت لذلك سبيلاً لإيجاد التنافر بيني وبين الحكومة البريطانية وإني سوف أتخذ أشد التدابير التأديبية لمن تحدثه نفسه بإحداث الضرر لأنابيب النفط وعساني أوفق في ذلك . كما أرجو أن تنتبه الحكومة البريطانية لمكايد الأعداء نحو تلك الأنابيب .

وإني أكرر من جديد تعهدي لحفظ مصالح بريطانيا وإن مساعداتي السابقة لها غير مخفية ولا مستورة وإني أنتظر عدالة ومساعدة بريطانيا لي لإنجاز تعهداتي على الوجه الأكمل .

وقد كانت عربستان طوال هذه السنين آمنة مطمئنة وهذه حقيقة يعترف بها الجميع . وإن الحكومة الإيرانية تميل لبث الشقاق في هذا القطر وأن تحدث الخلل في هذه الإمارة العربية المسالمة .

وإني أكرر التماسي ورجائي من الحكومة البريطانية لتقوم بتنفيذ إتفاقاتها وتأكيداتها ومواعيدها لي وأن تحافظ على معاهداتها معي ولصيانة أملاكي والمحافظة عليها .

إني رجل مسالم وغير متجاوز على أحد ولكن إذا ما صممت الحكومة الإيرانية القائمة على متابعة خططها فإني عندئذٍ سأضطر للدفاع عن حقوقي والجهاد عن هذا الحق إلى النفس الأخير . وإن ما يخيفني تطويل القضية والتماهل عن رد الخطر فإنه بقدر التماهل يشتد الشر وتستفحل الأزمة .

« **خزعل** »

برقية من الشيخ خزعل
إلى رضاخان يدعوه لزيارته في عربستان
للتفاهم معه وفض الخلاف وهذا نصها :

إلى حضرة الأشرف الأعظم رئيس الوزراء دامت عظمته

ألقى بعض الناس في روعي أن فخامتكم لا يطمئن إلي ، ويضمر لي الكراهية والعدوان ، وإن فخامتكم قد اعتبرني كأحد أعدائه والمخالفين لرأيه مما جعلني أعتقد بأنكم تريدون محوي وإيذائي إلى غير ذلك . ولكن الآن والحمد لله انكشفت لي أخيراً حقيقة الوضع وثبت لي أن ما كنت أتصوره غير واقع بل كان مجرد دعاية سيئة للتفريق بين أبناء الوطن الواحد . ولا شك أن فخامتكم تعلمون أن هذا الخلاف وسوء التفاهم الواقع بيننا هو من دسائس ووضع المغرضين والمفسدين الذين ألقوا في روعي لعدائهم الشخصي لفخامتكم وأرادوا أن يجعلوا مني ومن أتباعي وعشائري آلة لتنفيذ أغراضهم الشخصية ومقاصدهم الدنيئة ـ عدا جماعة البختيارية .

ولكن لحسن الحظ أدركت أخيراً أغراضهم السيئة وأهدافهم الهوجاء وأساليبهم الرخيصة ولهذا جئت أعرض لفخامتكم أسفي على ما وقع من سوء تفاهم وإني أرجو العفو والصفح عما بدر مني من المخالفات ، وأرجو أن يكون المستقبل خيراً من الماضي وكلي أمل وثقة من تحقيق آمال عشائري للعيش بسلام واطمئنان وأنا شخصياً أرجو قبول معذرتي عما صدر مني نحو دولتكم من الخشونة والآن وإن جل قصدي ومطمع أملي وأمل عشائري وأتباعي أن نكون مخلصين لدولتكم ومن أطوع الناس لمساعدتكم آمل من فخامتكم أن تقبلوا اعتذاري هذا وإن تعتمدوا على عشائري المخلصين جل الإعتماد وتشملوهم بالعفو الكامل .

وقد علمت أن فخامتكم قررتم زيارة الجنوب للإشراف على نواقص هذا الجزء من الوطن . فإني أنتهز هذه الفرصة السعيدة لدعوة فخامتكم إلى زيارة عربستان وأن تشرفونا بزيارتكم الميمونة وأتمنى بكل شوق أن أتشرف برؤية

فخامتكم شخصياً لكي نتفاهم معاً على إزالة ما علق في الصدور من أدران وأوصاب وإني أقدم ولائي وإخلاصي لفخامتكم شخصياً وأرجو القبول . كما أرجو إعلامي بموعد تشريفكم وتعيين المحل الذي أتشرف بالمثول بين أيديكم .

« خزعل »

ملحق كتاب
من الشيخ أحمد الجابر إلى الشيخ خزعل

أما الشيخ أحمد الجابر فقد تأخرت عنه رسائل الشيخ خزعل لمدة قصيرة فلم يقف على آخر أخبار التطورات لتلك القضية فكتب إلى الشيخ خزعل كتاباً وأرفق به ملحقاً يستوضح منه آخر الأخبار وهذا نص الملحق :

سيدي دمت بعز وسرور

بلغنا خبر أن دولتكم شرف الفيلية وعدتم إلى الناصرية لأجل مقابلة رضاخان وإن عزمكم تشرفون إلى محلكم المعمور الفيلة وإن المومى إليه يشرف برفقتكم ونحن ما تحقق عندنا ذلك من حيث ما لدينا من دولتكم تعريف عن ذلك والحقيقة أننا مشغولو الفكر ولا نزال نترقب أخباركم السارة ولو أننا الآن من فضل الله مطمئنو الخاطر ومسرورون من الحالة الحاضرة بدوام سلامتكم ولكن نحب أن نعرف نتيجة المسألة لكي يزداد سرورنا فنسأله تعالى أن يديم بقاءكم ويوفقكم لما فيه الخير والصلاح في الدارين ويكمد أعداءكم بمنه وكرمه .

سيدي

حظينا بمشاهدة أخينا الشيخ عبد المجيد في بلدكم الكويت وقد حصل لنا كمال الأنس والسرور والآن عزمه يتوجه لخدمتكم نرجو الله أن يصحبه بالصحة والسلامة والسرور وأن يمتع الجميع بطول عمرك وسرور خاطرك .

كتاب من الشيخ خزعل إلى الشيخ أحمد الجابر

فأجابه الشيخ خزعل بكتاب وأرفق به ملحقاً يخبره بموجبها عن بعض تلك الأخبار هذا نصها :

جناب ذو الخصال الحميدة الأجل الأفخم ولدنا العزيز الشيخ أحمد الجابر الصباح المحترم دام محروساً

بعد السؤال عن عزيز خاطركم العاطر وعنا الحمد لله تعالى بخير وسرور يوم الثلاثة الماضي وصلنا لمحلكم القصر سالمين ومن حيث كنا مشغولين في ترتيب تشريف حضرة رئيس الوزارء إلى القصر وحركته إلى العتبات لهذا ما أمكن بوقته نعرفكم عن وصولنا وكيفية الأمور نرجوكم المعذرة والآن حيث حضرة المعظم إليه سافر وجب علينا مبادرة هذه النميقة الودية مستفسرين فيها عن غالي سلامتكم وفي الظمن نعرفكم أن الأمور من فضل الله ومساعي رجال الدولة المعظمة البريطانية ومساعدتهم حتمت على حسب الإرادة في جميع الوجوه ولعلمنا أنكم تسرون من هذه البشارة حبينا إطلاعكم مع سلامنا على الأخ شيخ جابر وكافة الأولاد وجميع رفاقتنا ومن هنا أخيكم عبد الحميد وأخوته يهدون السلام وبعد هذا لا تقاطعونا أخبار سلامتكم السارة على الدوام وما يكون لديكم من غرض يقضي ودمتم محروسين في ٢٥ ج١ ١٣٤٣هـ **خزعل بن جابر**

ملحق :

دمتم بخير وسرور قد يكون بلغكم خبر عن وجود بعض أنفار من القزاق في المحمرة لا تصيرون بفكر لأنهم أربعين نفراً فقط وهم عشرين نفر يستقيمون في المحمرة وعشرين في عباذان وبقائهم موقت هنا وإنشاء الله حضوراً نبين لكم التفصيل ليكن عندكم معلوم .

المواقف العربية الرسمية والشعبية من ثورة عربستان

لقد مر العرب المتتبعون للوحدات التي اجتازتها عربستان آنذاك مروراً عابراً وكأن شيئاً لا يعنيهم من أمرها ولا أسبابها ونتائجها .

موقف العراق

كان العراق وهو القطر العربي المجاور لعربستان يصارع السيطرة البريطانية ومؤامراتها في أعقاب ثورته الكبرى ضدها . وكان الملك فيصل الأول السائر في ركاب الإستعمار يومئذٍ يجد بالشيخ خزعل نداً ومنافساً له في السياسة وكان يرغب بأن يتخلص منه مهما كانت النتائج وبأية صورة تكون ولو أدى ذلك إلى اغتصاب أرض العرب في عربستان فقد كان قرير العين بما وقع وقد وقع النبأ على قلبه برداً وسلاماً .

موقف سوريا

وكانت سوريا وهي منطلق الثورة العربية وملتقى الأحرار تخوض ثورتها الوطنية ضد غزو الفرنسيين لدولة العرب الجديدة وتصارع الإنفصاليين الذين شكلوا في كل منطقة منها دويلة صغيرة وبالرغم من كل ذلك فقد رفعت صحفها الحرة أصواتها بالإستنكار لاحتلال ايران لذلك القطر العربي ولكن الإستعمار الفرنسي بادر لخنق ذلك الصوت .

موقف فلسطين والأردن

وكانت سوريا الجنوبية أي فلسطين والأردن يومئذٍ ثائرة حائرة في أمرها تتطلع إلى أمها سوريا الكبرى وتجابه التجزئة والإحتلال البريطاني من جهة وتكافح الغزو الصهيوني الجارف من جهة ثانية .

موقف لبنان

وكان لبنان أيضاً قد غشيه الإستعمار الفرنسي وعمل على تفكيكه وإبعاده عن السير في الركاب العربي وكان شعبه يلاقي الويلات للصمود في وجه تيار ذلك الإستعمار ومكافحته فلم يجد أمامه متسعاً للنظر في أمر عربستان .

موقف مصر

أما مصر فقد كانت في شغل شاغل عن هذه الأمور تكافح مشاكلها مع الإستعمار البريطاني الذي ضيق عليها الأنفاس وأثقل كاهلها بنيره القاسي وأخفت

صوتها عن الإرتفاع بالمشاكل التي كانت تقع في أطراف البلاد العربية .

موقف نجد والحجاز

وأما نجد والحجاز فقد كانا يومئذٍ في شغل شاغل عما يجري في عربستان منشغلين بالحرب القائمة بينهما وقد أرهقتهما تلك الحروب فلم تمكنهما ظروفهما من القيام بعمل شيء من أجل عربستان .

موقف اليمن

وقد كانت اليمن بعيدة عن الحوادث منقطعة عنها الأخبار عائشة بشبه عزلة عن البلاد العربية قابعة على نفسها لا تعلم ما تقاسيه البلاد العربية من المرارة والويلات .

موقف الأقطار العربية الافريقية

كانت الأقطار العربية في أفريقيا لا تزال تعيش في نطاق العزلة الكاملة التي فرضها عليها الإستعمار البريطاني والإيطالي والفرنسي ليبعدها عن السير في الركاب العربية .

موقف الجماهير العربية

أما الجماهير العربية فقد كانت يومئذٍ متفككة موزعة لا يربطها شعار موحد ولا ينظمها هدف قومي واحد فقد كانت تعيش بمفاهيم العهد العثماني وكانت الأغلبية في البلاد العربية لا تعرف الكثير عن عربستان ومأساتها بل ولا تعرف حتى أين تقع عربستان .

وهكذا مر احتلال إيران لعربستان دون أي مقاومة عربية خارجية أو حتى دون أي احتجاج ومضت إيران في برامجها لابتلاع تلك المنطقة العربية دون أي اهتمام من الدول العربية أو أية معارضة من المنظمات والجماهير الشعبية العربية .

موقف الكويت من هذه المأساة

أما الكويت فلم يستنكر أحد تلك النكبة التي حلت بعربستان وبمأساة

أميرها الشيخ خزعل ولا سيما آل الصباح الذين كانت تربطهم مع الشيخ خزعل روابط صداقة عريقة فقد صموا آذانهم وأغلقوا ضمائرهم وأغمضوا عيونهم عن تلك المأساة وتناسوا كل شيء :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولم يبد الشيخ أحمد الجابر شيخ الكويت يومئذٍ أي استياء لحدوث تلك المأساة حتى ولم يستنكرها طالما كانت برغبة وميل من الحكومة البريطانية ولم يكن يهمه شيء من تلك المأساة طالما كان يتمتع بنظرة عطف أو ابتسامة مشرقة ترتسم على فم رجال الحكومة البريطانية الموكول إليهم الإشراف السياسي على الكويت لأنه كان يعتقد أنه لو عصى لهم أمراً لهوى .

الشيخ خزعل والشيخ أحمد الجابر :

كان الشيخ خزعل يثق بالشيخ أحمد الجابر ثقة كبيرة . وكان يرعاه بحنانه رعاية خاصة ويسهر على مصلحته . وقد سعى سعياً حثيثاً ليوطد له دعائم مشيخته في الكويت . وفتح في وجهة جميع إمكاناته المعنوية والمادية .

ولكن بعد أن حلت بالشيخ خزعل تلك المأساة أسدل الشيخ جابر الستار على ما كان بينهما من حقوق متناسياً كل العلاقات التي كانت تربطهما معاً ومعرضاً من مراعاة مصالحه في الكويت . وقد فعل ذلك تمشياً مع رغائب الحكومة البريطانية . وهذه بعض النماذج التي اتخذها .

المطالبة باسترداد الباخرة « مشرف »

بعد إلقاء القبض على الشيخ خزعل بعث الشيخ أحمد كتاباً إلى المعتمد البريطاني في الكويت يطلب فيه إعادة الباخرة « مشرف » التي أهداها عمه الشيخ سالم إلى الشيخ خزعل بعد معركة الجهرة هذا نصه :

حضرة الميجور مور بولتكل :

لا يخفى على سعادتكم من جهة مركبنا مشرف الذي قدمه المرحوم العم

الشيخ سالم لحضرة محب الجميع الشيخ خزعل بحسب الصداقة ولأجل استمرار المواصلات بين الطرفين وهو تحت لازم الجميع وعند الحاجة نطلبه ونقضي لازمنا ونرجعه ويبقى عنده ولكن الآن مع مزيد الأسف أن حضرة المومى إليه صار عليه ما صار من حكومته ونحن الآن اقتضى لنا لازم في المركب مرامنا نتوجه للبصرة بعد كم يوم وحيث أن حضرة المومى إليه ما تعين له وكيل يقوم في اللازم عرضنا الكيفية لسعادتكم نرجوكم أن تراجعون من تعتمدون عليه من هالخصوص لأننا نخشى أن الحكومة الإيرانية ما تعرف حقيقة ذلك أو ربما يصير لها به حاجة وتقبض عليه هذا ما لزم بيانه ودمتم .

مسايرة الحكومة الإيرانية المحتلة

بعد مرور ثلاثة شهور من إرسال الشيخ خزعل إلى طهران نشبت ثورة المحمرة ضد إيران تولى قيادتها رجال أشداء من حراس الشيخ خزعل الخاصين واستولوا عليها مدة وجيزة . فأخذ أفراد الجيش الإيراني يفرون إلى البلاد العربية المجاورة وخشيت الحكومة البريطانية أن تأوي الكويت بعضاً منهم فأبرق المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ذكر فيها أسماء بعض أولئك الجنود الفارين فكتب الأخير رسالة إلى الشيخ أحمد الجابر يبلغه ما أمره معتمد الخليج رد عليه الشيخ أحمد بكتاب هذا نص :

بعد السلام والسؤال عن شريف خاطركم دمتم بخير وسرور . بعده أخذنا بيد الوداد كتابكم رقم تاريخه نمرة ٦٦٨ وطيّه قائمة بالأفراد المنهزمين من الجيش الإيراني فقد أشرفت عليها وقد وافقت على ما اقترح به حضرة باليوز خليج فارس أننا ما نقبل أحد من هؤلاء يلتجىء في حدودنا وفعلاً أعلنا بذلك مع الممنونية هذا ما لزم ودمتم محروسين في (٥ محرم ١٣٤٤ هـ)

وهذا هو نص الإعلان الذي أصدره الشيخ أحمد الجابر

إعلان

ليعلم من يراه أن الأفراد الإيرانين المنهزمين من الجيش الإيراني لا نسمح لأحد منهم يلتجىء بالكويت وحدودها والذي يعرف أحد من هؤلاء ويخيفه يكون مسؤلاً .

التخلي عن مناصرة آل الشيخ خزعل

عندما حل موسم قطف ثمار النخيل لعام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥ م) توجه الشيخ أحد الجابر من الكويت قاصداً الفاو آخر قرى العراق الجنوبية الواقعة على ضفة شط العرب الغربية والمقابلة لحدود عربستان من الجنوب لجمع التمور من النخيل التي تعود لآل الصباح وأناب عنه عمه حمد بن الشيخ مبارك في الكويت فظنّت الحكومة الإيرانية إن مقدم الشيخ أحمد الجابر إلى تلك الأطراف لغرض الإتصال بآل الشيخ خزعل للقيام بثورة ضدها فقدمت شكاية إلى المعتمد السياسي البريطاني في الخليج حول هذا الموضوع فأبرق المعتمد السياسي في الخليج إلى المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ليستوضح من حمد المبارك عن ذلك الخبر ومدى صحته وكان المعتمد السياسي في الكويت يومئذٍ غائباً عن الكويت فقام وكيله بتبليغ هذا النبأ إلى الشيخ حمد فنفى الشيخ حمد صحة هذا الخبر وانكر قيام الشيخ أحمد بمثل هذا العمل وأكد لوكيل المعتمد بأن الشيخ أحمد لا يتدخل بمثل هذه الأمور قطعياً وأنه قد ألزم نفسه بعدم تحدي ما تريده الحكومة البريطانية وإن تبادر للحكومة البريطانية أدنى شك في ذلك فإنه سيبرق إلى الشيخ أحمد بالعودة إلى الكويت حالاً فرجاه وكيل المعتمد السياسي في الكويت أن يكتب إلى الشيخ أحمد للإسراع بإنهاء مهمته والعودة إلى الكويت .
فكتب حمد مبارك كتاباً إلى الشيخ أحمد الجابر وأرفق به ملحقين هذا نصهما :

ملحق خير

يوم السبت الساعة ١٠ ونصف سير علينا وكيل القنصل وأخبرنا بأنه واصله تلغراف من باليوز أبو شهر فيه أن حكومة إيران مقدمة شكاية عنده أنه :
ـ حاكم الكويت هو مستقيم قرب الفاو ويعمل تشويشات ضد إيران حسب

طلب عـائلة الشيخ خـزعل وأن البليـوز أرسل هـذا التلغـراف يحقق عـلى ذلـك ومتكدر جداً أن يسمع مثل هذه الأشياء . جوابنا لـه : أخبر البليـوز يكون واثق أن الأخ أحمد قطعاً ما يتداخل ونحن نتأسف أن نسمع من هذي الإشاعـة الباطلة بعد ذلك . سئل الأخ أحمد هو متا يصل إلى الكويت ؟ أخبرته :(إن الشيخ مجيئه على خلاص ظهان أملاكـه وبعد الخـلاص سيتوجـه يمكن بعدكم يـوم يخلص من شغله ويجيء إلى بلده) .

ملحق خير

انا بينت له إن كان الحكومة تحب ولها محاذرة في شيء نكتب إلى الأخ أحمد يجيء قبل خلاص شغله ولواجب على الشيخ رضا الحكومة . جاوب الحكومة ما تحب يترك شغله بل يخلص أشغاله ويتوجه فقط الحكومة تـرغب سرعة الخـلاص والتوجه ووكيل القنصل أخبرني أن أكتب لجنابكم بصورة أخبار فقط فكر الوكيـل أن يرسل تلغراف إلى أبو شهر يقول فيه أن حاكم الكويت الآن في الفاو وأخبرني وكيله الشيخ حمد أن الحكومة تكـون واثقة أن الشيـخ لم يتداخـل وهذه الإشـاعة باطلة وهو قريباً يخلص شغله حسب العادة ويرجع إلى بلاده هذا الذي صار بيننا من المراجعة ليصير معلوم ونرجو الله أن يوفقكم للخير والصلاح .

المصادر والمراجع

- **الإنطاكي ، عبد المسيح** : الدرر الحسان في منظومات ومدائح مولانا معز السلطنة سردار أرفع الشيخ خزعل خان أمير المحمرة وحاكمها ورئيس قبائلها ، القاهرة ـ ١٣٢٦هـ .
- **الإنطاكي ، عبد المسيح** : الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة ، مصر ـ ١٣٢٥هـ .
- **الإنطاكي ، عبد المسيح** : عرف الطيب في مدائح السيد طالب النقيب ، مصر ـ ١٣٢٢هـ .
- **أوكونور ، هارفي** : الأزمة العالمية في البترول ، ترجمة عمر مكاوي ، مراجعة راشد البراوي ، القاهرة ـ ١٩٦٧ .
- **إيران عهدين العهد القاجاري والعهد البهلوي** : أصدرته جريدة البلاغ بمناسبة زيارة رضا شاه إلى تركيا ١٩٣٤ ، بيروت ـ ١٩٣٤ .
- **باش أعيان ، عبد القادر** : البصرة في أدوارها التاريخية ، بغداد ـ ١٩٦١ .
- **البحراني ، أحمد الشويكي** : تاريخ إمارة كعب العربية في القبان والدورق (الفلاحية) تحقيق وتعليق علي نعمة الحلو ، ط١ ، النجف ـ ١٩٦٨ .
- **البراوي ، راشد** : حرب البترول في الشرق الأوسط . ط٤ ، القاهرة ـ ١٩٥٣ .
- **برو ، توفيق علي** : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ ، القاهرة ـ ١٩٦٠ .

- **بروكلمان ، كارل** : تاريخ الشعوب الإسلامية ، جـ٥ ، ط٣ ، بيروت ـ ١٩٦١ .
- **البزاز ، عبد الرحمن** : العراق من الإحتلال حتى الإستقلال ، ط٣ ، بغداد ـ ١٩٦٧ .
- **البصير ، محمد المهدي** : تاريخ القضية العراقية ، جـ١ ، بغداد ـ ١٩٢٣ .
- **بيل ، ألمس كيرتورد** : فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ـ ١٩٧١ .
- **التميمي ، حميد أحمد حمدان** : البصرة في عهد الإحتلال البريطاني ١٩١٤ ـ ١٩٢١ ، بغداد ـ ١٩٧٩ .
- **الحاكم ، عبد الله** : من هنا بدأت الكويت ، دمشق ـ د . ت .
- **الحسني ، عبد الرزاق : تاريخ العراق السياسي جـ١ ، ط٤ ، صيدا ١٩٨٠ .**
- **الحسني ، عبد الرزاق** : الثورة العراقية الكبرى ، ط٢ ، صيدا ـ ١٩٦٥ .
- **الحسني ، عبد الرزاق** : العراق في دوري الإحتلال والإنتداب ، جـ١ ، ط٤ ، صيدا ـ ١٩٣٥ .
- **الحصري ، ساطع** : البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة ـ ١٩٦٥ .
- **حقي ، عبد المجيد إسماعيل** : الوضع القانوني لإقليم عربستان في ظل القواعد الدولية ، القاهرة ـ ١٩٧٢ .
- **الحلو ، علي نعمة** : الأحواز (عربستان) ، جـ١ ، جـ٣ ، بغداد ـ ١٩٦٩ ، جـ٥ ، النجف ١٩٧٠ .
- **الحلو ، علي نعمة** : المحمرة مدينة وإمارة عربية ، بغداد ـ د . ت .
- **الحيدري ، إبراهيم فصيح** : عنوان المجد في بيان إخوان بغداد والبصرة ونجد ، بغداد ـ ١٩٦٢ .
- **خليل ، نوري عبد الحميد** : التاريخ السياسي لإمتيازات النفط في العراق ١٩٢٥ ـ ١٩٥٢ ، لبنان ـ ١٩٨٠ .

- **الداود ، محمود علي : محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٩٨٠ - ١٩١٤ ، القاهرة -١٩٦١ .**
الرشيد ، عبد العزيز : تاريخ الكويت ، تحقيق يعقوب عبد العزيز الرشيد ، بيروت - ١٩٧١ .
- **زين ، زين نور الدين** : نشوء الحركة القومية العربية مع دراسة في العلاقات العربية - التركية ، ط٣ ، بيروت - ١٩٦٨ .
- **الساداتي ، أحمد محمود** : رضا شاه بهلوي ، نهضة إيران الحديثة ، القاهرة - ١٩٣٩ .
- **سترنك ، وليم تيودور** : حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان . دراسة عن التوسع الإستعماري البريطاني ١٨٩٧ - ١٩٢٥ ، ترجمة غير منشورة للدكتور عبد الجبار ناجي .
- **سعيد ، أمين : الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، بيروت - د . ت .**
- **الشيخ خزعل ، حسين خلف** : تاريخ الكويت السياسي ، جـ٢ ، بيروت - ١٩٦٢ ، جـ٣ ، بيروت - ١٩٦٦ جـ٤ ، ط٥ ، بيروت - ١٩٦٥ ، ق١ جـ٥ ، بيروت - ١٩٧٠ .
- **صايغ ، أنيس** : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، ط١ ، بيروت ١٩٦٦ .
- **صفري، حميد**: النفط يستعبد إيران، ترجمة عبد الرازق الصافي، بغداد - ١٩٦٦ .
- **الضابط ، شاكر صابر** : العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران ، بغداد ١٩٦٦ .
- **طاونسند ، تشارلز** : مذكرات طاونسند ترجمة عبد المسيح وزير ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت .
- **عامر ، علي محمد** : المحمرة والوحدة العثمانية ، ترجمة الشيخ محمد صالح ، مصر - ١٣٢٩هـ .
- **العطار ، جواد** : تاريخ البترول في الشرق الأوسط ١٩٠١ - ١٩٧٢ ، بيروت ١٩٧٧ .

- العمر ، فاروق صالح : حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤ - ١٩٢١ ، بغداد - ١٩٧٧ .
- **فيلبي ، هاري سنت جون** : أيام فيلبي في العراق ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت - ١٩٥٠ .
- **قلعجي ، قدري** : الخليج العربي ، بيروت - ١٩٦٥ .
- **المانع ، جابر جليل** : مسيرة إلى قبائل الأحواز ، البصرة - ١٩٧١ .
- **محمود ، حسن سليمان** : الكويت ماضيها وحاضرها ، بغداد - ١٩٦٨ .
- **مكاريوس ، شاهين** : تاريخ إيران ، مصر - ١٨٩٧ .
- **المنصور ، عبد العزيز محمد** : الكويت وعلاقاتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦ - ١٩١٥ ، ط٢ ، الكويت - ١٩٨٠ .
- **النجار ، مصطفى عبد القادر** : التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧ - ١٩٢٥ ، القاهرة - ١٩٧١ .
- **النجاد ، مصطفى عبد القادر** : التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية والوطن العربي في شط العرب ، البصرة - ١٩٧٤ .
- **النجفي ، محمد بن الشيخ عيسى** : الرياض الخزعلية في السياسة الإنسانية ترتيب عبد المجيد البصري ، قدم له وعلق عليه عبد المسيح الإنطاكي ، مصر - ١٩٢٢ .
- **نوار ، عبد العزيز سليمان** : العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ١٩٦٨ .
- **نوار ، عبد العزيز سليمان** : العلاقات العراقية - الإيرانية ، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات ، القاهرة - ١٩٧٤ .

فهرس الكتاب



هذا الكتاب

في العالم كله أو في التاريخ كله ملوك وعروش .
أما أن يكون هناك ملك غير متوج فهو الأمير العربي الشيخ خزعل الذي طمح يوما ليصبح ملك شط العرب والعراق .
إنه شخصية فذة من الشخصيات التي أنجبها العالم العربي بفخر واعتزاز في أوائل العصر الحديث مع بدء اكتشاف النفط في امارة الأحواز خاصة ومنطقة الخليج العربي بوجه عام .
والنفط الذي تتهافت عليه كبرى دول العالم هو الذي أسهم في بلورة شخصية الشيخ خزعل وصقلها وجعل منه رائدا وقدوة كما جعل إمارته محط أطماع دول شتى كإيران وبريطانيا والدولة العثمانية وروسيا وألمانيا وفرنسا ، تلك الدول التي عاصرته وتألبت عليه واحدة إثر أخرى دون أن تتمكن من إخضاعه أو التلاعب به أو بمصير المنطقة الهامة من العالم التي وجد فيها .
فالشيخ خزعل له من العزة العربية وثاقب الرأي والبصيرة ما جعله سداً منيعاً في وجه كل منها .
هذا ما دعا الدار العربية للموسوعات الى جمع ونشر هذا المؤلف الفريد الذي يروي السيرة الذاتية لهذه الشخصية العربية المرموقة والتي تميزت بالإباء العربي والتواضع الأصيل ، آملة أن يجد فيه القراء الكرام ما طاب من معلومات شيقة يعتز بها العرب عن ماضيهم القريب في حاضرهم ومستقبلهم .

الدار العربية للموسوعات